طلائع المسند

للإمام أحمد بن حنبل

- خصائص المسند - لأبي موسى المديني ٥٨١ هـ
- المصعد الأحمد - للإمام الجزري ٨٣٣ هـ
- ترجمة الإمام أحمد من تاريخ الإسلام للذهبي ٧٤٨ هـ

تحقيق

أحمد محمد شاكر

مكتبة التراث الإسلامي

٨ شارع الجمهورية عابدين ت ٣٩١١٣٩٧

مكتبة التراث الإسلامي
٨ شارع الجمهورية عابدين القاهرة ت : ٣٩١١٣٩٧ فاكس : ٣٩١٣٤٠٦

بسم الله الرحمن الرحيم

خصائص المسند

للحافظ أبي موسى المديني المتوفى سنة ٥٨١ (١)

قال الشيخ عبد المنعم بن عليّ بن مُفْلِح الحنبلي (٢) : أخبرتني الشيخة الجليلة الأصيلة المسندة المعمَّرة ، أم عبد الله عائشة ابنة محمد بن عبد الهادي بن عبد الحميد بن عبدالهادي بن يوسف بن محمد بن قُدَامة المقدسي الصالحي (٣) ، إجازةً منها ، قالت : أنبأنا أبو عبد الله محمد بن أحمد بن تمام بن حسان الصالحي وغيره ، عن أبي العباس أحمد بن عبد الدائم بن نعمة المقدسي ، قال : أخبرنا الحافظ أبو محمد عبد الغني بن عبد الواحد المقدسي سماعاً (ح) قالت عائشة : وأنبأتنا به عالياً بدرجةٍ أمُّ عبدالله زينب ابنة عبد الرحيم بن أحمد بن عبدالرحمن البجدي ، عن الحافظ ضياء الدين أبي عبد الله محمد بن عبد الواحد بن أحمد بن عبد الرحمن المقدسي ، قالا : أنبأنا الحافظ أبو موسى محمد بن عمر بن أحمد بن عمر الأصبهاني المديني ، رحمه الله تعالى . قال :

(١) ولد بأصبهان سنة ٥٠١ وحصل بها من المسموعات ما لم يحصله أحد في زمانه ، مع الحفظ والإتقان ، وله مؤلفات كثيرة نافعة . ومن تلاميذه الحافظ أبو سعد السمعاني والحافظ عبد الغني المقدسي ، وغيرهما . ومات ببلده ليلة الأربعاء ٩ جمادى الأولى سنة ٥٨١ .

(٢) هو صدر الدين عبد المنعم بن القاضي علاء الدين علي بن أبي بكر بن مفلح . أخذ العلم عن والده وغيره ، وكان من أهل العلم والدين . مات بحلب في ربيع الآخر سنة ٨٩٧ . وله ترجمة في شذرات الذهب ٧ : ٣٥٩ — ٣٩٦ .

(٣) كانت محدثة دمشق ، ولدت سنة ٧٢٣ وماتت في أحد الربيعين سنة ٨١٦ . عن الشذرات ٧ : ١٢٠ — ١٢١ .

الحمد لله الواسع للنعم ، المفضل المكرم ، العالم الملهم ، الذي أحسن بدءاً وغفر آخراً . وصلواته على محمد المختار من خلقه وعلى آله .

أما بعد : فإن مما أنعم الله علينا ، أن رزقنا سماعَ كتاب المسند للإمام الكبير ، إمام الدين أبي عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني رحمه الله تعالى . فحصَّل لي والدي ، رحمه الله وجزاه عني خيراً ، إحضاري قراءته سنة خمس وخمسمائة ، على الشيخ المقرئ بقية المشايخ أبي علي الحسن بن الحداد .

وكان سماعه لأكثره عن أبي نعيم أحمد بن عبد الله الحافظ — وما فاته منه قُرِئَ عليه بإجازته له — وأبو نعيم كان يرويه عن شيخيه أبي علي محمد بن أحمد بن الحسن الصواف، وأبي بكر أحمد بن جعفر بن حمدان بن مالك القَطِيعي، على ما تنطق فهرستُ مسموعاتي بخط والدي رحمه الله .

ثم قرأناه أجمعَ ببغداد على الشيخ الرئيس الثقة أبي القاسم هبة الله بن محمد بن عبد الواحد بن الحُصَيْن الشيباني ، من أصل سماعه إلاّ ما لم يكن عند شيخه ، عن أبي علي الحسن بن علي بن المُذْهِب التميمي الواعظ ، عن أبي بكر أحمد بن جعفر بن حمدان القَطِيعي ، عن عبد الله بن أحمد ، عن أبيه ، رحمهما الله تعالى .

ولعمري إن من كان من قبلنا من الحفّاظ يتبجحون بجزء واحد يقع لهم من حديث هذا الإمام الكبير ، على ما أخبرني الإمام الحافظ أستاذي أبو القاسم إسمعيل بن محمد رحمه الله في إجازته لي ، قال : أخبرنا أبو بكر بن مَرْدَوَيْه ، قال :

كتب إليّ أبو حازم العبدويّ ، يذكر أنه سمع الحاكم أبا عبد الله عند منصرَفه من بُخارَى يقول : كنت [عند] أبي محمد المزني، فقدم عليه إنسان علويّ من بغداد ، وكان أقام ببغداد على كتابة الحديث ، فسأله أبو محمد المزني ، وذلك في سنة ست وخمسين وثلثمائة ، عن فائدته ببغداد ، وعن باقي إسناد العراق ، فذكر في جملة ما ذكر : سمعت مسند أحمد بن حنبل رحمه الله تعالى من أبي بكر بن مالك في مائة جزء وخمسين جزءاً ، فعجب أبو محمد المزني من ذلك ، وقال : مائة

وخمسون جزءاً من حديث أحمد بن حنبل ؟! كنا ونحن بالعراق إذا رأينا عند شيخ من شيوخنا جزءاً من حديث أحمد بن حنبل قضينا العجبَ من ذلك ، فكيف في هذا الوقت هذا المسند الجليل ! فعزَم الحاكم على إخراج الصحيحين ، ولم يكن عنده مسند إسحق الحنظلي ، ولا مسند عبد الله بن شيرَويه ، ولا مسند أبي العباس السراج ، وكان في قلبه ما سمعه من أبي محمد المزني ، فعزم على أن يخرج إلى الحج في موسم سنة سبع وستين ، فلما ورد في سنة ثمان وستين ، أقام بعد الحج ببغداد أشهراً ، وسمع جملة المسند من أبي بكر بن مالك ، وعاد إلى وطنه ، ومد يده إلى إخراج الصحيحين على تراجم المسند[1] .

قال شيخنا الحافظ رحمه الله تعالى : وفي هذه السنة مات ابن مالك في آخر السنة سنة ثمان وستين . وأبو محمد المزني هذا من الحفاظ الكبار المكثرين .

***

وهذا الكتاب أصل كبير ، ومرجع وثيق لأصحاب الحديث ، انتُقي من حديث كثير ومسموعات وافرة ، فجعله إماماً ومعتمداً ، وعند التنازع ملجأ ومستنداً .

على ما أخبرنا والدي وغيره ، رحمهما الله تعالى : أن المبارك بن عبد الجبار أبا الحسين كتب إليهما من بغداد : أخبرنا أبو إسحق إبرهيم بن عمر بن أحمد بن إبرهيم البرمكي قراءةً عليه ، حدثنا أبو حفص عمر بن محمد بن رجاء ، حدثنا موسى بن حمدون البزار ، قال : قال لنا حنبل بن إسحق : جمعنا عمي ، لي ولصالح ولعبد الله ، وقرأ علينا المسند ، وما سمعه منه — يعني تامًّا — غيرُنا ، وقال لنا : إن هذا الكتاب قد جمعتُه وأتقنتُه من أكثر من سبعمائة وخمسين ألفاً ، فما اختلف المسلمون فيه من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم فارجعوا إليه ، فإن كان فيه و إلا فليس بحجة[2] .

---

(١) أظنه يريد : إخراج المستدرك على الصحيحين ، وهو مستدرك الحاكم ، المعروف المطبوع في حيدر آباد ، في أربعة مجلدات كبار .

(٢) هذه الألوف الكثيرة لا يراد بها أنها كلها أحاديث متباينة ، كما يبدو من ظاهر

بخط أبي بكر بن أبي نصر ، قال أبو الحسن اللبناني : سمعت عبد الله بن أحمد بن حنبل رحمه الله تعالى يقول : كتب أبي عشرة آلاف ألف حديث ، ولم يكتب سواداً في بياض إلا قد حفظه .

وبه قال : أخبرنا البرمكي قراءة عليه فأقرّ به : حدثني أبي ، حدثني أبو محمد القاسم بن الحسن الباقلاني بسُرَّ مَنْ رأى ، قال سمعت أبا بكر بن أبي حامد الفقيه صاحب بيت المال ، سمعت عبد الله بن أحمد بن حنبل يقول : قلت لأبي رحمه الله تعالى : لم كرهتَ وضع الكتب وقد عملت المسند ؟ فقال . عملتُ هذا الكتاب إماماً ، إذا اختلف الناسُ في سنة رسول صلى الله عليه وسلم رُجع إليه .

قال وحدثني أيضاً القاسم ، قال : سمعت أبا الحسن بن عُبيد الحافظ ، سمعتُ أبا عبد الرحمن عبدالله بن أحمد يقول : خَرّج أبي المسندَ من سبعمائة ألف حديث .

قال الشيخ الحافظ أبو موسى رحمه الله : ولم يخرّج إلا عمن ثبت عنده صدقُه وديانتُه ، دون من طُعن في أمانته . كما قرأته ببغداد على أبي منصور عبد الرحمن بن محمد بن عبد الواحد القزاز ، أخبرنا أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت الحافظ ، أخبرنا أبو الحسن أحمد بن محمد العتيقي ، أخبرنا يوسف بن أحمد الصيدلاني بمكة ، حدثنا محمد بن عمرو العقيلي ، حدثنا عبد الله بن أحمد : سألت أبي عن عبد العزيز بن أبان ؟ فقال : لم أخرّج عنه في المسند شيئاً ، قد أخرجت عنه على غير وجه الحديث ، لمّا حَدّث بحديث المواقيت تركته .

اللفظ ، وكما يظن كثير ممن لا يعرف ، ويجعله أعداء السنة مطعناً في السنة كلها ، يزعمون أن أكثرها غير صحيح ! كلا ، إنما هي طرق متعددة للأحاديث ، فقد يروى الحديث الواحد بعشرات الأسانيد ، فيختار المؤلف ، كالإمام أحمد ، أو البخاري ، أصحها وأوثقها ، ويدع المرسل والمنقطع وما في إسناده ضعف كثير .. ورب حديث جاء بإسناد ضعيف وبأسانيد صحيحة . وفي هذه الألوف أيضاً آثار الصحابة والتابعين وغيرهم ، يرويها المحدثون عنهم بالأسانيد ، ويعدونها في عد الحديث

٭٭٭

فأما عدد أحاديث المسند ، فلم أزل أسمعُ من أفواه الناس أنها أربعون ألفاً ، إلى أن قرأتُ على أبي منصور بن زُريق ببغداد ، أخبرنا أبو بكر الخطيب[1] ، قال: وقال ابن المنادي : لم يكن في الدنيا أحد أروى عن أبيه منه ، يعني عبدالله بن أحمد بن حنبل ، لأنه سمع المسند ، وهو ثلاثون ألفاً ، والتفسير ، وهو مائة ألف وعشرون ألفاً ، سمع منه ثمانين ألفاً والباقي وِجادةٌ .[2] فلا أدري هل الذي ذكره ابن المنادي أراد به مالا مكرر فيه ، أو أراد غيره مع المكرر ؟ فيصح القولان جميعاً ، أو الاعتماد على قول ابن المنادي دون غيره . ولو وجدنا فراغاً لعددناه إن شاء الله تعالى[3] .

فأما عدد الصحابة فنحو من سبعمائة رجل .

وجدت بخط الشيخ حامد بن أبي الفتح ، ذكره أبو عبد الله الحسين بن أحمد الأسدي في كتابه المسمى (مناقب أحمد بن حنبل) أنه سمع أبا بكر بن مالك ، يذكر أن جملة ما وعاه المسند أربعون ألف حديث غير ثلاثين أو أربعين ، قال : وسمعته — يعني أبا بكر بن مالك — سمعت عبد الله بن أحمد بن حنبل يقولُ : أخرج أبي هذا المسند من جملة سبعمائة ألف حديث . وقال أبو عبد الله الأسدي : وقد أفردتُ لذلك كتاباً في جزء واحد ، وسميته (كتاب المدخل إلى المسند) أثبتُّ فيه ذلك أجمع .

وذكر الأسدي : سمعت أبا بكر بن مالك يقول : رأيت أبا بكر أحمد بن سلمان النجاد في النوم ، وهو على حالة جميلة ، فقلت : أي شيء كان خبرك ؟ قال : كل

---

(١) تاريخ بغداد ٩ : ٣٧٥ .

(٢) هنا في الأصل زيادة كلمة « وذكره » ولا معنى لها في هذا الموضع ، ولا هي في تاريخ بغداد .

(٣) هو على اليقين أكثر من ثلاثين ألفاً ، وقد لا يبلغ الأربعين ألفاً . وسيبين عدده الصحيح عند إتمامه إن شاء الله .

ما تحب، الزم ما أنت عليه وما نحن عليه ، فإن الأمر هو ما نحن عليه وما أنتم عليه .
ثم قال : بالله إلا حفظت هذا المسند ، فهو إمام المسلمين و إليه يرجعون ، وقد كنتُ قديماً أسألك بالله إن أعرْتَ منه أكثر من جزء لمن تعرفه ، ليبقى .

قال : وسمعت أبا بكر بن مالك يقول : حضرت مجلس يوسف القاضي سنة خمس وثمانين ومائتين ، أسمع منه كتاب الوقوف ، فقال لي : من عنده مسند أحمد بن حنبل والفضائل أيش يعملُ ههنا ؟ أو كلاماً نحو هذا .

ومن الدليل على أن ما أودعه الإمام أحمد رحمه الله تعالى مسنده قد احتاط فيه إسناداً ومتناً ، ولم يورد فيه إلا ما صح عنده ، على ما أخبرنا أبو علي سنة خمس ، قال : حدثنا أبو نعيم ، (ح) وأخبرنا ابن الحُصين قال : أخبرنا ابن المُذْهب قال : أخبرنا القطيعي قال : حدثنا عبد الله قال : حدثني أبي : قال : حدثنا محمد بن جعفر قال : حدثنا شعبة عن أبي التّيّاح ، قال : سمعتُ أبا زُرْعَةَ يحدِّث عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : يُهلك أمتي هذا الحيُّ من قريش ، قالوا : فما تأمرنا يا رسول الله . قال : لو أن الناس اعتزلوهم ؟ قال عبد الله : قال لي أبي في مرضه الذي مات فيه : اضربْ على هذا الحديث ، فإنه خلافُ الأحاديث عن النبي صلى الله عليه وسلم ، يعني قوله : اسمعوا واطيعوا [واصبروا] .

وهذا مع ثقة رجال إسناده حين شذ لفظه عن الأحاديث المشاهير أمر بالضرب عليه ، فقال عليه ما قلناه . وفيه نظائر له[1] .

---

(١) هذا الحديث في المسند برقم ٧٩٩٢ . وكلمة أحمد في الأمر بالضرب عليه ثابتة عقبه . وقد زدنا منه كلمة « واصبروا » . وهو من أمانة عبد الله وشدة تحريه ، فإن الإسناد صحيح لا مطعن عليه، وكونه في ظاهره مخالفاً للأمر بالسمع والطاعة ليس علة له ، وما هو بالأمر بمخالفتهم والخروج عليهم ، فلا ينافي السمع والطاعة . والحديث رواه الإمام بأسانيد أخرى كثيرها صحيح . ولكن ليس فيها « لو أن الناس اعتزلوهم » . وهي بالأرقام ٧٨٥٨ ، ٧٩٦١ ، ٨٠٢٠ ، ٨٢٨٣ ، ٨٣٣٩ ، ٨٨٨٨ ، ١٠٢٩٧ ، ١٠٧٤٨ ، ١٠٩٤٠ . وأبو زرعة : هو ابن عمرو بن جرير . وأبو التياح : هو يزيد بن حميد الضبعي .

بخط أحمد بن محمد بن البرداني، عن أبي علي بن الصواف قال : سمعت عبد الله بن أحمد يقول : صنف أبي المسند بعد ما جاء من عند عبد الرزاق .

ذكر علي بن الحسين بن جدي ، قال : قرأت بخط أبي حفص عمر بن عبد الله العكبري ، قال : سمعت أبا عبد الله عبيد الله بن محمد ، قال سمعت أبا بكر أحمد بن سلمان يقول : سمعت أبا بكر يعقوب بن يوسف المطوعي يقول : جلست إلى أبي عبد الله أحمد بن حنبل ثلاث عشرة سنة، وهو يقرأ المسند على أولاده ، ما كتبتُ منه حرفاً واحداً ، وإنما كنت أكتب آدابَه وأخلاقه وأتحفظها . وقال عبيد الله : قال لي أبو بكر بن أيوب : سمعت يعقوب يقول : كنت أختلف إلى أحمد ثلاث عشرة سنة ، لا أكتب عنه ، وهو يقرأ المسند ، إنما كنت أنظر إلى هديه أتأدّبُ به .

أخبرنا ابن الحُصين بإسناده : حدثنا عبد الله حدثني عثمان بن أبي شيبة حدثنا جرير عن محمد بن سالم عن أبي إسحق عن عاصم بن ضَمْرة عن علي رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : فيما سقت السماء العشر ، وما يُسقى بالغَرْب والدالية ففيه نصف العشر . قال أبو عبد الرحمن فحدثت أبي بحديث عثمان عن جرير فأنكره جداً ، وكان أبي لا يحدثنا عن محمد بن سالم لضعفه عنده وإنكاره لحديثه .

وقال عبد الله : حدثنا شيبان أبو محمد حدثنا عبد الوارث بن سعيد حدثنا الحسن بن ذكوان عن عمرو بن خالد عن حبيب بن أبي ثابت عن عاصم بن ضَمْرة عن علي رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم ، قال : أتاني جبريل عليه السلام فلم يدخل عليه ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : ما منعك أن تدخل ؟ قال : إنا لا ندخل بيتاً فيه صورة ولا بول . قال: وحدثناه شيبان مرةً أخرى: حدثنا عبد الوارث عن حسن بن ذكوان عن عمرو بن خالد عن حَبَّة بن أبي حبة عن عاصم نحوه . قال : وكان أبي لا يحدث عن عمرو بن خالد ، يعني كان حديثه لا يسوى عنده شيئا . قال : وكان في كتاب أبي عن عبد الصمد عن أبيه عن الحسن ، يعني ابن ذكوان ، عن حبيب عن سعيد بن جُبير عن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم

نهى أن يمشي في خف واحد أو نعل واحد . وفي الحديث كلام كثير غير هذا ، فلم يحدثنا به ، ضرب عليه في كتابه ، فظننت أنه ترك حديثه من أجل أنه روى عن عمرو بن خالد الذي يحدث عن زيد بن علي ، وعمرو بن خالد لا يسوى شيئاً ، وهذا أقوى ، لأنه لم يرو عمن روى عن ضعيف وإن كان حاله خالصاً .

وبه : حدثنا أبو عامر حدثنا خارجة بن عبد الله عن أبي الرجال عن أمه عمرة ، وبه : حدثنا عصام بن خالد حدثني صفوان بن عمرو عن سُليم بن عامر الخبائري وأبو اليمان الهَوْزَني عن أبي أمامة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : إن الله تعالى وعدني أن يدخل من أمتي الجنة سبعين ألفاً بغير حساب ، فقال يزيد بن الأخنس السلمي : والله ما أولئك في أمتك إلا كالذباب الأصهب في الذباب ! فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : فإن ربي عز وجل قد وعدني سبعين ألفاً مع كل ألف سبعين ألفاً ، وزادني ثلاث حثيات ، قال : فما سَعَةُ حوضك يا نبي الله ؟ قال : كما بين عدن إلى عمان وأوسع وأوسع ، يشير بيده ، قال : فيه مَثْعَبانِ من ذهب وفضة[1] ، قال : فماء حوضك ؟ قال : ماء أشدُّ بياضاً من اللبن ، وأحلى مذاقةً من العسل ، وأطيبُ رائحةً من المسك ، من شرب منه لم يظمأ بعدها .

وبهذا الإسناد ، قال عبد الله : وجدت هذا الحديث في كتاب أبي بخطه وقد ضرب عليه ، فظننت أنه قد ضرب عليه لأنه خطأ ، إنما هو عن زيد عن أبي سلام عن أبي أمامة .

قال : حدثنا يزيد قال : أخبرنا رجل ، والرجل كان يسمّى في كتاب أبي عبد الرحمن عَمرو بن عُبيد ، حدثنا أبو رجاء العُطارِدِيّ عن عِمران بن حُصين قال : ما شبع آل محمد صلى الله عليه وسلم من خبز مأدوم حتى مضى لوجهه .

قال عبد الله : وكان أبي قد ضرب على هذا الحديث في كتابه ، فسألته ،

---

(١) المثعب ، بفتح الميم : مكان انثعاب الماء ، أي سيلانه وجريانه ، جمعه «مثاعب» .

وحدثني به ، وكتب عليه صح صح . قال : إنما ضرب أبي على هذا الحديث لأنه لم يرض الرجل الذي حدث عنه يزيد .

قال الشيخ الإمام الحافظ أبو موسى : قد روى لابنه الحديث ، لكنه ضرب عليه في المسند ، لأنه أراد أن لا يكون في المسند إلا الثقات ، ويروي في غير المسند عمن ليس بذاك .

ذكر أبو العز بن كادش أن عبد الله بن أحمد ، قال لأبيه : ما تقول في حديث ربعيّ عن حذيفة ؟ قال : الذي يرويه عبد العزيز بن أبي روّاد ؟ قلتُ : يصح ؟ قال : لا ، الأحاديث بخلافه ، وقد رواه الخياط عن ربعي عن رجل لم يسموه، قال: قلت له : فقد ذكرته في المسند ؟ فقال : قصدتُ في المسند الحديثَ المشهورَ وتركتُ الناسَ تحت ستر الله تعالى ، ولو أردتُ أن أقصد ما صح عندي ، لم أروِ من هذا المسند إلا الشيء بعد الشيء ، ولكنك يا بني تعرف طريقتي في الحديث ، لست أخالف ما ضَعف إذا لم يكن في الباب ما يدفعه .

قال الشيخ الحافظ : وهذا ما أظنه يصح ، لأنه كلام متناقض ، لأنه يقول: لستُ أخالف ما فيه ضعف إذا لم يكن في الباب شيء يدفعه ، وهو يقول في هذا الحديث بخلافه وإن صح ، فلعله كان أولاً ثم أخرج منه ما ضعف ، لأني طلبته في المسند فلم أجده .

* * *

آخر خصائص المسند إملاء الحافظ أبي موسى المديني رحمه الله تعالى
علّقه لنفسه فقيرُ عفو ربه تعالى عبد المنعم بن عليّ بن مفلح
الحنبلي ، عفا الله عنه ، في ذي القعدة سنة خمس
وتسعين وثمانمائة ، أحسن الله تقضّيها في خير .

بسم الله الرحمن الرحيم

المصعد الأحمد

في ختم مسند الإمام أحمد

للحافظ شمس الدين بن الجزري ٧٥١ — ٨٣٣

قال الشيخ الإمام العالم العلامة شمسُ الدين أبو الخير محمد بن محمد بن محمد بن علي بن يوسف بن الجزريّ رحمه الله تعالى[١]، عقيب ختم مسند الإمام المبجل، والحَبْر المفضَّل، أبي عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني، تغمده الله بالرحمة والرضوان، بالمسجد الحرام، وذلك في يوم الخميس حادي عشر ربيع الأول سنة ثمان وعشرين وثمانمائة :

أحمدُ الله الذي أسعد برواية الحديث النبوي وأصعد. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، شهادة يفوز بها من يشهد، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، سيد الخلق، وحبيب الحق، فاتح الخير، وخاتم الأنبياء، محمد صلى الله عليه وعلى آله وصحبه. وشرّف وكرّم ومجّد.

وبعد : فلما مَنّ الله تعالى وفتح علينا بالسبيل الأحمد، ويسر إسماع هذا المسند الشريف مسند الإمام أحمد، وقد ختمته بهذا الحرم الأشرف الأعظم الأمجد، رأيت أن أكتبَ خاتمةً تُحمد، عند ختم هذا المسند. مشيراً إلى شيء مما رويناه في فضله وفضل جامعه، وذكر إسنادي إليه ومُسْمعه وسامعه.

فأقول : أخبرني بجميع هذا المسند المبارك، وهو كتاب لم يُرْوَ على وجه الأرض

---

(١) ولد بدمشق ليلة السبت ٢٥ رمضان سنة ٧٥١، وكان إمام القراءات في عصره غير مدافع. وله مؤلفات كثيرة فيها وفي الحديث، معروفة مشهورة. ومات بشيراز في ربيع الأول سنة ٨٣٣.

كتابٌ في الحديث أعلى منه ، جماعة من الشيوخ سماعاً وإجازةً ، ولكن اعتمادي على السماع المتصل .

فأخبرني به كذلك مع الزيادات فيه لعبد الله بن أحمد وأبي بكر القطيعي ، الشيخُ الصالح الأصيلُ رحلة البلاد ، وجامع لواء الإسناد ، ومُلحق الأحفاد بالأجداد ، الإمام صلاح الدين أبو عبد الله وأبو عمر محمد بن الشيخ الصالح العالم تقي الدين أبي العباس أحمد بن الشيخ عز الدين إبرهيم بن الشيخ عبد الله بن شيخ الإسلام أبي عمر محمد بن أحمد بن قُدَامة بن نصر المقدسي الحنبلي، رحمه الله تعالى ، قراءةً مني وسماعاً، في مجالس متعددة ، أولها في شهور سنة سبعين وسبعمائة ، وآخرها في سنة سبع وسبعين وسبعمائة ، بالصالحية ظاهر دمشق المحروسة ، وإجازةً لما خالف أصلَ السماع إن خالف ، قلت له : أخبرك بجميع مسند الإمام أحمد من رواية ابنه عبد الله ، وبما فيه من زيادات ابنه عبد الله عن غير أبيه ، وبزيادات القَطيعي أيضاً ، وهي في مسند الأنصار رضي الله عنهم ، الشيخُ الإمام العالم الثقة الصالح فخر الدين أبو الحسن علي بن الشيخ شمس الدين أحمد بن عبد الواحد بن أحمد بن عبد الرحمن بن إسمعيل بن منصور السعدي المقدسي ، المشهور بابن البخاري الحنبلي ، رحمه الله تعالى ، قراءة عليه وأنت تسمع فأقرّ به ، قال : أخبرنا به الشيخ الصالح الثقة المسند أبو علي حنبل بن عبد الله بن الفرج بن سعادة الواسطي ثم البغدادي الرصافي المكبر ، قراءة عليه وأنا أسمع ، قال أخبرنا الشيخ الصدر العالم الصالح المعمر ، رئيس العراق المسند ، أبو القاسم هبة الله بن محمد بن عبد الواحد بن أحمد بن العباس بن الحُصين الأزرق الكاتب الشيباني سماعاً ، قال : أخبرنا الشيخ المحدث العالم أبو علي الحسن بن علي بن محمد بن علي بن أحمد بن وهب بن شبل بن فروة بن واقد التميمي الواعظ البغدادي ، المعروف بابن المُذْهِب ، قال : أخبرنا الشيخ المحدث العالم المفيد الثقة أبو بكر أحمد بن جعفر بن حمدان بن مالك بن شبيب بن عبد الله القطيعي البغدادي، قال: حدثنا الشيخ الإمام الحجة الحافظ أبو عبد الرحمن عبد الله بن الإمام الكبير العالم

الحجة الحافظ أحد أعلام الأمة ، ومَنْ له على أهل السنة أعظم مِنَّةٍ ، أبي عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسدٍ الشيباني البغدادي ، قال: حدثني أبي شيخ الإسلام أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل ، فذكره .

وسنشير إلى بعض تراجم هؤلاء ، كما وعدنا .

* * *

ونقدم فضل هذا الكتاب الجليل :

أخبرنا الثقات مشافهة وإجازة عن علي بن أحمد ، أن عفيفة بنت أحمد كتبت إليه ، أن أحمد بن عبد الجبار أنبأها ، قال : أنبأنا أبو إسحق إبرهيم بن عمر بن أحمد البرمكي الفقيه ، ابن الفقيه ، قال حدثني أبو محمد القاسم بن الحسن الباقلاني ، قال : سمعت أبا بكر بن أبي حامد الفقيه يقول : سمعت عبد الله بن أحمد بن حنبل يقول : قلت لأبي : لِمَ كرهتَ وضع الكتب وقد عملتَ المسند ؟ فقال : عملتُ هذا الكتاب إماماً ، إذا اختلفَ الناسُ في سنةٍ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم رُجِع إليه .

قلت : وقد أشكل هذا الكلام على بعض الناس ، فقال : كيف يقول الإمام أحمد هذا ، ونحن نجد أحاديث صحاحاً ليست في المسند ، كحديث أمّ زَرْع ، رواه البخاري في صحيحه وغيره ، وهو عند عبد الله بن أحمد ، كما رواه الطبراني في كتاب العشرة ؟

وأجيبَ عن ذلك بأن الإمام أحمد شرع في جمع هذا المسند ، فكتبه في أوراق مفردة ، وفرّقه في أجزاء منفردة ، على نحو ما تكون المسوّدة . ثم جاء حلول المنية قبل حصول الأمنية ، فبادر بإسماعه لأولاده وأهل بيته ، ومات قبل تنقيحه وتهذيبه ، فبقي على حاله ، ثم إن ابنه عبد الله ألحق به ما يشاكله ، وضم إليه من مسموعاته ما يشابهه ويماثله ، فسمع القطيعي من كتبه من تلك النسخة على ما يظفر به منها ، فوقع الاختلاط من المسانيد والتكرار من هذا الوجه قديماً ، فبقي كثير من الأحاديث

في الأوراق والأجزاء لم يظفر بها ، فما لم يوجد فيه من الأحاديث الصحاح من هذا القبيل .

قلت : أما حديث أم زرع ، سمعت شيخنا الحافظ الحجة عماد الدين إسمعيل بن عمر بن كثير يقول : إنما لم يخرجه أحمد في المسند لأنه ليس من قول النبي صلى الله عليه وسلم ، بل هو حكاية من عائشه رضي الله عنها . والله أعلم .

وبالإسناد إلى أبي إسحق البرمكي قال : حدثنا أبي ، قال : حدثنا القاسم بن الحسن قال سمعت أبا الحسن بن عبيد الحافظ يقول : سمعت عبد الله بن أحمد يقول : خرّج أبي المسند من سبعمائة ألف حديث .

وقال عثمان بن السباك : حدثنا حنبل قال : جمعنا أحمد بن حنبل أنا وصالح وعبدالله ، وقرأ علينا المسندَ ، وما سمعه غيرنا ، وقال لنا : هذا الكتاب جمعته وانتقيته من أكثر من سبعمائة ألف حديث وخمسين ألفاً ، فما اختلف فيه المسلمون من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم فارجعوا إليه ، فإن وجدتموه و إلا فليس بحجة .

قال الحافظ أبو عبد الله الذهبي : هذا القول منه على غالب الأمر ، و إلا فلنا أحاديث قوية في الصحيحين والسنن والأجزاء ما هي في المسند ، وقدر الله تعالى أن الإمامَ قطع الرواية قبل تهذيب المسند ، وقبل وفاته بثلاث عشرة سنة ، فتجد في الكتاب أشياء مكررةً ، ودخول مسند في مسند ، وسند في سند ، وهو نادر .

قلت : أما دخول مسند في مسند فواقع ، وقد بينته في كتابي (المسند الأحمد) .

وأما قوله فما اختلف فيه من الحديث رجع إليه و إلا فليس بحجة ، يريد أصول الأحاديث ، وهو صحيح ، فإنه ما من حديث غالباً إلا وله أصل في هذا المسند . والله أعلم .

وأما دخول سندٍ في سندٍ ، فلا أعلمه وقع فيه ، ولا شك أن الإمام أحمد مات قبل ترتيبه وتهذيبه . والله أعلم .

حدثني شيخنا الإمام العالم شيخ الفقهاء شمس الدين محمد بن عبد الرحمن الخطيب الشافعي، رحمه الله تعالى، قال: سئل الشيخ الإمام الحافظ أبو الحسين علي بن الشيخ الإمام الحافظ الفقيه محمد اليُونيني، رحمهما الله تعالى: أنت تحفظ الكتب الستة؟ فقال: أحفظها وما أحفظها، فقيل له: كيف هذا؟ فقال: أنا أحفظ مسند أحمد، وما يفوت المسند من الكتب الستة إلا قليل، أو قال: وما في الكتب هو في المسند، يعني إلا قليل، وأصله في المسند، فأنا أحفظها بهذا الوجه. أو كما قال رحمه الله تعالى.

وقال الإمام الحافظ الكبير أبو موسى محمد بن أبي بكر المديني: وهذا الكتاب أصل كبير، ومرجع وثيق لأصحاب الحديث، انتُقِيَ من حديث كثير ومسموعات وافرة، فجعله إماماً ومعتمداً، وعند التنازع ملجأ ومستنداً. قلت: ولعمري إن من كان قبلنا من الحفاظ يتبجحون بجزء واحد يقع لهم من حديث هذا الإمام الكبير.

ثم ذكر حكاية عن الإمام الحافظ أبي عبد الله الحاكم، وأنه لما عزم على إخراج الصحيحين خرج إلى الحج في موسم سنة سبع وستين، فلما ورد في سنة ثمان وستين، يعني وثلثمائة، أقام بعد الحُجاج ببغداد أشهراً، وسمع جملة المسند من أبي بكر بن مالك، وعاد إلى وطنه، ومد يده إلى إخراج الصحيحين على تراجم المسند.

***

قال الحافظ أبو موسى: فأما عدد أحاديثه فلم أزل أسمع من أفواه الناس أنها أربعون ألفاً، إلى أن قرأت على أبي منصور بن زُريق القزاز ببغداد قال: حدثنا أبو بكر الخطيب قال: حدثنا ابن المنادي: لم يكن أحد في الدنيا أروى عن أبيه منه، يعني عبدالله بن أحمد بن حنبل، لأنه سمع المسند، وهو ثلاثون ألفاً، والتفسير، وهو مائة ألف وعشرون ألفاً، سمع منها ثمانين ألفاً والباقي وِجَادة، فلا أدري هل الذي ذكره ابن المنادي أراد به ما لا مكرر فيه، أو أراد غيره مع المكرر، فيصح القولان

جميعاً ، أو الاعتماد على قول ابن المنادي دون غيره ، قال : ولو وجدنا فراغاً لعددناه إن شاء الله تعالى .

ثم قال : وجدت بخط الشيخ أبي حامد أبي الفتح : ذكر أبو عبد الله الحسين بن أحمد الأسدي في كتابه المسمى بمناقب أحمد بن حنبل أنه سمع أبا بكر بن مالك يذكر أن جملة ما وعاه المسند أربعون ألف حديث غير ثلاثين أو أربعين . قال الحافظ الذهبي : فلو عده بعض الأصحاب لأفاد ، ولايسهل عَدُّه إلا بالمكرر وبالمُعَاد ، وأما عَدُّه بلا مكرر فيصعب ، ولا ينضبط تحرير ذلك .

قلت : وقد وقفت لبعض أصحابنا على عدد بعض المسانيد . فقال :

مسند بني هاشم : خمسة وسبعون حديثاً .

مسند أهل البيت : خمسة وأربعون حديثاً .

مسند عائشة : ألف حديث وثلاثمائة وأربعون حديثاً .

مسند النساء : تسعمائة وستة وثلاثون حديثاً .

مسند ابن مسعود : ثمانمائة وخمسة وسبعون حديثاً .

مسند أنس : ألفان وثمانمائة وثمانون حديثاً .

آخر ما رأيته ، وجملته : سبع آلاف ومائة وأحد وسبعون حديثاً[١] .

وبقي مسند العشرة ، ومسند أبي هريرة ، ومسند أبي سعيد الخدري ، ومسند جابر بن عبد الله ، ومسند عبد الله بن عمر ، ومسند عبد الله بن عباس ، ومسند عبد الله بن عمرو بن العاص ، وفي آخره مسند أبي رِمْثة ، ومسند الأنصار رضي الله عنهم ، ومسند المكيين والمدنيين ، ومسند الكوفيين ، ومسند البصريين ، ومسند الشاميين ، فهذه جميع مسانيد مسند الإمام أحمد رحمه الله تعالى ورضي عنه .

---

(١) كذا في الأصل ، وهو خطأ ، فإن جملة العدد الذي ذكر ، هو ٦١٥١ ، وفيه خطأ في التفصيل أيضاً ، فإن مسند ابن مسعود ، في العد الذي عندي ٩٠٠ حديث ، ومسند أنس ٢١٩٢ .

قال الحافظ أبو موسى : فأما عدد الصحابة فنحو سبعمائة رجل . ومن النساء مائة ونيّف .

قلت : قد عددتهم لمّا أفردتهم في كتابي المسند ، فبلغوا ستمائة ونيفاً وتسعين . سوى النساء الصحابيات . وعددت النساء الصحابيات فبلغن ستّاً وتسعين .

واشتمل المسند على نحو ثمانمائة من الصحابة . سوى ما فيه ممن لم يسمّ من الأبناء والمبهَمات وغيرهم .

فأما الأبناء فيه ثمانية ، منهم اثنان عُرف اسمهما ، وهما ابنُ أبزى ، وهو عبدالرحمن ، وابنُ الأمين ، واسمه عبد الله ، وقيل زياد ، ويقال له أبو لأي .

وأما شيوخه الذين روى عنهم في المسند فإني عددتهم ، فبلغوا مائتين وثلاثة وثمانين رجلاً .

وأما شيوخ ابنه عبد الله الذين روى عنهم في مسند أبيه فعدَّتهم مائة وثلاثة وسبعون رجلاً . وقد أثبت ذلك وذكرتهم في كتابي (المسند الأحمد) . ولكن شيوخه الذين روى عنهم وسمع منهم فيزيدون على الأربعمائة ، ذكره الحافظ أبو بكر بن نُقطة في كتاب مفرد .

* * *

وأما شرطه ، فقال الحافظ أبو موسى المديني : لم يخرج أحمد في مسنده إلا عمن ثبت عنده صدقه ، وديانته ، دونَ من طُعن في أمانته .

قال : ومن الدليل على أن ما أودعه مسنده قد احتاط فيه إسناداً ومتناً ولم يورد فيه إلا ما صح عنده ، وساق أبو موسى أحاديث ذكرتها في المسند ، فلا نطول بذكرها هنا .

وقال الحافظ أبو القاسم إسمعيل التيمي رحمه الله تعالى : لا يجوز أن يقال فيه السقيم ، بل فيه الصحيح المشهور ، والحسن ، والغريب .

وقال شيخ الإسلام أبو العباس بن تيمية رحمه الله تعالى : وقد تنازع الناس هل

في مسند أحمد حديث موضوع ، فقال طائفة من حفاظ الحديث ، كأبي العلاء الهمداني ونحوه : ليس فيه موضوع ، وقال بعض العلماء ، كأبي الفرج بن الجوزي : فيه موضوع . قال أبو العباس : ولا خلاف بين القولين عند التحقيق ، فإن لفظ « الموضوع » قد يُراد به المختلق المصنوع الذي يتعمدُ صاحبُه الكذبَ ، وهذا مما لا يُعلم أن في المسند منه شيئاً ، بل شرط المسند أقوى من شرط أبي داود في سننه ، وقد روى أبو داود في سننه عن رجال أعرض عنهم في المسند قال : ولهذا كان الإمام أحمد في المسند لا يروي عمن يُعرف أنه يكذب ، مثل محمد بن سعيد المصلوب ونحوه ، ولكن يَروي عمن يُضَعَّف لسوء حفظه ، فإن هذا يكتب حديثه . ويُعتضدُ به ويُعتبر به ، قال : ويراد بالموضوع ما يُعلم انتفاء خبره ، وإن كان صاحبه لم يتعمد الكذب ، بل أخطأ فيه ، وهذا الضرب في المسند منه ، بل وفي سنن أبي داود والنسائي ، وفي صحيح مسلم والبخاري أيضاً ألفاظ في بعض الأحاديث من هذا الباب ، لكن قد بيّن البخاري حالها في نفس الصحيح . قلت : ولهذا الكلام تتمة تذكر في المسند الأحمد .

فصـــل

في فضل جامعه وترجمة رجال إسنادنا إليه

أما الإمام أحمد : فهو إمام المسلمين ، وأزهد الأئمة ، وشيخ الإسلام ، وأفضل الأعلام في عصره ، وشيخُ السنة ، وصاحب المِنَّة على الأمة ، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد بن إدريس بن عبد الله بن حيان بن عبد الله بن أنس بن عوف بن قاسط بن مازن بن شيبان بن ذُهْل بن ثعلبة بن عُكَابَة بن صعب بن علي بن بكر بن وائل بن قاسط بن هِنب بن أفصى بن دُعْميّ بن جَديلة بن أسد بن ربيعة بن نِزار بن معدّ بن عدنان .

وقد غلط قوم فجعلوه من ولد ذُهل بن شيبان ، وإنما هو من ولد شيبان بن ذُهل بن ثعلبة . وذهل بن ثعلبة هو عم ذهل بن شيبان .

وقد اجتمع أحمد والنبي صلى الله عليه وسلم في نزار ، لأن النبي صلى الله عليه وسلم مُضريّ من ولد مُضر بن نزار ، وأحمد بن حنبل ربعيّ ، من ولد ربيعة بن نزار ، فهو أخو مضر بن نزار .

وكانت أم أحمد شيبانية أيضاً ، واسمها صفية بنت ميمونة بنت عبد الملك الشيباني ، من بني عامر ، كان أبوه نزل بهم وتزوج بها . وكان عبد الملك بن سوادة بن هند الشيباني من وجوه بني عامر . وكان ينزل بها قبائل العرب فيضيفهم .

وولد أحمد رضي الله عنه في العشرين من ربيع الأول سنة أربع وستين ومائة ببغداد ، وجيء به من مرو إلى بغداد .

وقال الحافظ أبو يعلى الخليلي : إنه ولد بمرو ثم حمل إلى بغداد وهو رضيع . وكان أبوه في زي الغزاة ، وأصله من البصرة ، وتوفي أبوه محمد وله ثلاثون سنة ، وأحمد طفل .

قال الإمام أحمد : لم أر جدي ولا أبي . فنشأ ببغداد وعرف فضله وهو غلام في الكتاب ، فسمع من هشيم ، وإبرهيم بن سعد ، وسفيان بن عيينة ، ويحيى القطان ، وعباد بن عباد ، وهذه الطبقة . وسمع بالعراق والحجاز والشأم واليمن .

روى عنه البخاري ، وروى عن واحد عنه في صحيحه ، ومسلم ، وأبو داود ، وأبو زرعة ، [وأبو حاتم الرازيان] وعبد الله وأخوه صالح ابناه ، وخلق كثير ، آخرهم أبو القاسم البغوي .

وأول طلبه الحديث سنة تسع وسبعين ، وله ست عشر سنة . رحمه الله تعالى .

قال عبد الله بن أحمد : سمعت أبا زرعة يقول : كان أبوك يحفظ ألف ألف حديث ، قيل : وما يدريك ؟ قال : ذاكرته فأخذت على الأبواب .

وقال أبو عبيد : انتهى العلم إلى أربعة أفقههم أحمد ، ثم قال : لست أعلم في الإسلام مثله .

وقال ابن المديني : إن الله تعالى أيد هذا الدين بأبي بكر الصديق رضي الله عنه يوم الردة ، وبأحمد بن حنبل رحمه الله تعالى يوم المحنة .

وقال يحيى بن معين : والله ما تحت أديم السماء أفقه من أحمد بن حنبل ، ليس في شرق ولا غرب مثله .

وقال حرملة : سمعت الشافعي يقول : ما خلفت ببغداد أفقه ولا أورع ولا أعلم من أحمد .

وقال الحافظ الذهبي ، ومن خطه نقلت : انتهت إليه الإمامة في الفقه والحديث والإخلاص والورع ، وأجمعوا على أنه ثقة حجة إمام .

وقال أيضاً فيه : عالم العصر ، وزاهد الوقت ، ومحدث الدنيا ، ومفتي العراق ، وعلم السنة ، وباذل نفسه في المحنة ، وقلّ أن ترى العيون مثله . كان رأساً في العلم والعمل ، والتمسك بالأثر ، ذا عقل رزين ، وصدق متين ، وإخلاص مكين ، وخشية ومراقبة العزيز العليم ، وذكاء وفطنة ، وحفظ وفهم ، وسعة علم . هو أجل من أن يمدح بكلامي ، وأن أفوه بذكره بفمي

قال : وكان ربعة من الرجال أسمر . وقيل : كان طويلاً ، يخضب بالحناء ، وفي لحيته شعر أسود ، ويلبس ثياباً غليظة ، ويتّزر ويعتمّ . تعلوه سكينة ووقار وخشية ، رضي الله عنه .

قال : وكانت وفاته يوم الجمعة عاشر أو حادي [عشر] ربيع الأول سنة إحدى وأربعين ومائتين . وله سبع وسبعون سنة وعشر ليال .

وشيعه أمم لا يحصيهم إلا الله تعالى ، حُزروا بثماني مائة ألف نفس ، فالله تعالى أعلم .

* * *

وأما ابنه أبو عبد الرحمن عبد الله بن أحمد بن حنبل رحمه الله تعالى ، فهو الإمام الحجة ، الحافظ العمدة ، الذهلي الشيباني البغدادي ، أحد الأعلام .

ولد سنة ثلاث عشرة ومائتين . وطلب الحديث في حداثته ، بل قبل ذلك وكان أخوه صالح بن أحمد القاضي أسن منه .

وأكبر شيخ له يحيى بن عبدون من أصحاب شعبة .

روى عن قتيبة بن سعيد بالإجازة ، وشيوخه يزيدون على الأربعمائة ، كما تقدم . وروى عن أبيه المسند ، والتفسير ، والزهد ، والتاريخ ، والعلل ، والسنة ، والمسائل ، وغير ذلك .

روى عنه أبو الإمام أحمد ، وأبو عبد الرحمن النسائي ، وابن أبي حاتم ، وابنُ صاعد ، وأبو عَوَانة ، ودعْلَج ، وأبو بكر النجَّاد ، وأبو القاسم البغوي ، وأبو القاسم الطبراني ، وأبو علي بن الصوّاف ، والقاضي المحاملي ، وأبو الحسن أحمد بن محمد اللُّنباني(١) ، وأبو بكر الشافعي ، وأبو بكر القطيعي ، وجماعة كثيرة .

وجمعَ وصنّف ، ورتّبَ مسندَ أبيه وهذّبه بعض التهذيب ، وزاد فيه أحاديث كثيرة عن مشايخه .

قال عباس الدُّوري : كنت يوماً عند أحمد بن حنبل . فدخل ابنه عبد الله ، فقال : يا عباس ، إن أبا عبد الرحمن قد وَعَى علماً كثيراً .

وقال أبو زُرْعة : قال لي أحمد : ابني عبدالله محظوظ من علم الحديث ، لا يكاد يذاكرني إلا بما لا أحفظ .

---

(١) بضم اللام وسكون النون وبعدها باء موحدة نسبة إلى « لنبان » وهي محلة بأصبهان ، كما في المشتبه للذهبي ٤٥٢ — ٤٥٣ ومعجم البلدان ٧ — ٣٣٨ .

وقال ابن عَدِيّ : نَبل عبد الله بأبيه ، وله في نفسه محل من العلم ، أحيا علم أبيه بمسنده الذي قرأه أبوه عليه خصوصاً ، قبل أن يقرأه على غيره ، ولم يكتب عن أحد إلا من أمره أبوه أن يكتب عنه .

وقال بدر البغدادي : عبد الله بن أحمد جِهبذ بنُ جهبذٍ .

وقال الخطيب البغدادي : كان ثقة ثبتاً فهماً .

وقال الذهبي : له من التصانيف كتاب السنة مجلد ، وكتاب الجمل والوقعة مجلد ، وكتاب سؤالاته أباه ، وغير ذلك .

قال : ولو أنه حرر ترتيب المسند وقربه وهذبه لأتى بأسنى المقاصد ، فلعل الله تبارك وتعالى أن يقيض لهذا الديوان السامي من يخدمه ويبوّب عليه ، ويتكلم على رجاله ، ويرتب هيئته ووضعه ، فإنه محتو على أكثر الحديث النبوي ، وقلّ أن يثبت حديث إلا وهو فيه . قال : وأما الحسان فما استوعبت فيه ، بل عامتها إن شاء الله تعالى فيه . وأما الغرائب وما فيه لين فروَى من ذلك الأشهر ، وترك الأكثر ، مما هو مأثور في السنن الأربعة ، ومعجم الطبراني الأكبر ، والأوسط ، ومسندي أبي يعلَى ، ومسند البزار ، ومسند بَقِيّ بن مَخْلَد ، وأمثال ذلك .

قال : ومن سعد مسند الإمام أحمد [أنه] قلّ أن تجد فيه خبراً ساقطاً .

قلتُ : أما ترتيب هذا المسند ، فقد أقام الله تعالى لترتيبه شيخَنا خاتمة الحفاظ الإمامَ الصالح الورع ، أبا بكر محمد بن عبد الله بن المحبّ الصامت ، رحمه الله تعالى ، فرتبه على معجم الصحابة ، ورتب الرواةَ كذلك ، كترتيب كتاب الأطراف ، تعب فيه تعباً كثيراً .

ثم إن شيخنا الإمام مؤرخ الإسلام ، وحافظ الشام عمادَ الدين أبا الفداء إسمعيل بن عمر بن كثير ، رحمه الله تعالى ، أخذ هذا الكتاب المرتب من مؤلفه ، وأضاف

إليه أحاديثَ الكتب الستة ، ومعجم الطبراني الكبير ، ومسند البزار ، ومسند أبي يعلى الموصلي، وأجهد نفسه كثيراً، وتعب فيه تعباً عظيماً ، فجاء لا نظير له في العالم ، وأكمله إلا بعضَ مسند أبي هريرة ، فإنه مات قبل أن يكمله ، فإنه عوجل بكف بصره ، وقال لي رحمه الله تعالي : لازلتُ أكتب فيه في الليل والسراجُ ينونص حتى ذهب بصري معه ، ولعل الله يُقيّض له من يكمله ، مع أنه سهل ، فإن معجم الطبراني الكبير لم يكن فيه شي من مسند أبي هريرة رضي الله عنه .

وقد بلغني أن بعض فضلاء الحنابلة بدمشق اليوم رتبه على ترتيب صحيح البخاري، وهو الشيخ الإمام الصالح العالم أبوالحسن علي بن زكنون الحنبلي، جزاه الله تعالى خيراً ، وأعانه على إكماله في خير ، فإنه أنفع كتاب في الحديث ، ولا سيما أنه عزَا أحاديثه .

وأما رجال المسند : فما لم يكن في تهذيب الكمال ، أفرده المحدِّث الحافظ شمس الدين محمد بن علي بن الحسين الحسيني ، بإفادة شيخنا الحافظ أبي بكر محمد بن المحبّ فيما قصر ، وما فاته فإني استدركتُه وأضفته إليه في كتاب سميته (المقصد الأحمد ، في رجال مسند أحمد) وقد تلف بعضُه في الفتنة ، فكتبتهُ بعد ذلك مختصراً .

ولما مرض عبدُ الله رحمه الله تعالى مَرَضَ الوفاة ، وقيل له : أين تحب أن تُدْفَن ؟ فقال : صحّ عندي أن بالقَطِيعة نبيًّا مدفوناً ، فلأنْ أكونَ في جوار نبي أحبُّ إليّ من أن أكون في جوار أبي .

وتوفي رحمه الله تعالى يوم الأحد لتسعٍ بقينَ من جمادى الآخرة ، سنةَ تسعين ومائتين ، عن سبع وسبعين سنة ، كعمر أبيه ، رحمه الله تعالى .

☆ ☆ ☆

وأما القطيعي الراوي عنه ، فقال الحافظ أبو عبد الله الذهبي عنه : هو المحدِّث

العالم المفيد الصدوق ، مسنَد بغداد ، أبو بكر أحمد بن جعفر بن حمدان ، واسم حمدان ، أحمد بن مالك بن شَبيب بن عبد الله ، البغدادي المالكي نسباً ، الحنبلي مذهباً ، سكن قَطيعة الدقيق فنُسب إليها .

ولد في المحرّم سنة أربع وسبعين ومائتين ، وسمع ، وهو مميز باعتناء أبيه ، من محمد بن يونس الكديمي ، وإبرهيم الحربي ، وإسحق بن الحسن الحربي ، وبشر بن موسى الأسدي ، وعبد الله بن الإمام أحمد ، وإدريس الحداد ، وأبي يعلى الموصلي ، وجماعة ، وارتحل إلى البصرة والكوفة والموصل وواسط ، وكَتَبَ وجمَع ، مع الصدق والدين والخبر والسنة .

حدّث عنهُ الحاكمُ فأكثر ، والدارقطني ، وابنُ شاهين ، وابنُ رَزْقَوَيْه ، وابنُ أبي الفوارس ، والقاضي الباقلاّني ، وأبو بكر البرقاني ، وأبو نعيم الأصبهاني ، وأبو علي بن المُذْهِب ، وخلق ، آخرُهمْ موتاً أبو محمد الجوهريّ ، بقي إلى سنة أربع وخمسين وأربعمائة .

وكان مكثراً عن ابن الإمام أحمد ، سمع منه المسندَ ، والزهد ، والفضائل ، والتاريخ ، والمسائل .

قال محمد بن الحسين بن بُكَيْر : سمعت القَطيعي يقول : كان عبد الله بن أحمد يجيئنا فيقرأ عليه عمُّ أبي ، أبو عبد الله بن الجصّاص ، فيقعدني عبد الله في حجره ، حتى يقال له : يؤلمك ؟ فيقول : إني أحبه .

وقال أبو عبد الرحمن السُلَمي : سألت الدارقطني عن القَطيعي ؟ فقال : ثقة زاهد قديم ، سمعت أنه مجاب الدعوة .

وقال البَرقاني : ليّنتُه عند أبي عبد الله الحاكم فأنكر عليّ ، وحسن حاله ، وقال : كان شيخي .

وقال الحاكم أيضاً : هو ثقة مأمون .

وقال الخطيب البغدادي : لم نر أحداً ترك الاحتجاج به .

قلت : توفي رحمه الله تعالى لسبع بقينَ من ذي الحجة سنة ثمان وستين وثلاثمائة ببغداد .

وقد اجتمع في عصره أربعة كلٌّ منهم « أحمد بن جعفر بن حمدان » : هو رحمه الله تعالى ، والثاني أحمد بن جعفر بن حمدان الدِّينَوري ، يروي عن عبد الله بن محمد سنان ، رَوى عنه علي بن القاسم بن شاذان الرازي وغيره . والثالث أحمد بن جعفر بن حمدان بن عيسى بن زريق أبو بكر السَّقَطي البصري ، حدَّث عن عبد الله بن أحمد الدَّوْرَقي وعنه أبو نعيم الأصبهاني . والرابع أحمد بن جعفر بن حمدان الطرسوسي ، يروي عن عبد الله بن جابر الطرسوسي وغيره ، حدث عنه عبد الرحمن بن أبي نصر الدمشقي وغيره ، ذكره الحافظ أبو القاسم بن عساكر في تاريخ دمشق .

* * *

وأما الراوي عن القَطيعي وهو ابن المُذْهِب ، فقال الحافظ الذهبي : هو المحدث العالم الواعظ المُعمَّر أبو علي الحسن بن علي بن محمد بن علي بن أحمد بن وهب بن شبل بن فروة ، التميمي البغدادي ، ابنُ المذْهِب .

ولد سنة خمس وخمسين ، وسمع المسنَد وهو ابن عشر من القَطيعي ، وسمع منه عدةَ أجزاء عالية ، ومن محمد بن المظفَّر ؛ وعلي بن لؤلؤ الورّاق ، وأبي محمد بن ماسي ، وأبي بكر الوراق ، وأبي بكر بن شاذان ، وابن شاهين ، والدارقطني ، وعدة . وطلب بنفسه وكَتب وتفَبَّه . وكان عنده الزهد أيضا للإمام أحمد عن القَطيعي ، وروى فضائل الصحابة أيضاً لأحمد وزياداته ، وغيرُه أتقن منه وأعرف وأمثَلُ .

روى عنه أبو بكر الخطيب كثيراً ، وأبو الفضل بن خَيْرُون ، وابن مَا كُولَا الأمير ، وأبو الحسين بن الطيوري ، وابن الُحصَين ، وغيرهم .

قال الخطيب : كان يروي عن القَطيعي المسند بأسره ، وكان سماعه صحيحاً إلا في أجزاء منه ، فإنه ألحق اسمه .

قال : وكان يروي الزهد ولم يكن به أصلٌ ، إنما النسخة بخطه ، وليس محلّ الحجة ، قال الذهبي عقيب هذا : لكنه في نفسه صدوق ، ماهو بمتهم .

ثم قال الخطيب : وحدث بحديث عن القطيعي عن أبي شعيب الحَرّاني ما كان عنده . قال الذهبي : لعله وهم .

قال الخطيب : وكان يسألني عن أسماء جماعة فيلحق في أسمائهم أنسابَهم موصولةً ، فأنهاه فلا ينتهي ، قال الذهبي : هذا ترخُّص لا يسوغ .

وقال ابن نُقْطَة : ليت الخطيب نبَّهَ في أي مسند تلك الأجزاء التي استثنى ، ولو فعل ذلك لأفاد .

قال : وقد ذكرنا أن مسندي فَضَالة بن عُبيد وعوف بن مالك لم يكونا في نسخة ابن المذهب ، وكذلك أحاديث من مسند جابر سقطت ، وقد رواها الحَرّاني عن القطيعي ، ثم قال : ولو كان ممن يلحق اسمه لألحق ما ذكرناه أيضاً . قال : والعجب من الخطيب يرد قولَه فعلُه ، فقد يروي عنه من الزهد في مصنفاته !

قلت : وقد وُجد بخط الحافظ المِزّيّ رحمه الله تعالى ، أن ابنَ المذهب فاته على القَطيعي من المسند حديثُ فَضَالة بن عُبيد وعوف بن مالك الأشجعي رضي الله عنهما ، وهما من مسند الشاميين رضي الله عنهم ، قال : فإن ذلك ليس عند ابن المذهب .

وقال الحافظ الذهبي : قال أبو الفضل بن خَيْرون ، وناهيكَ به فضلًا وعلماً :

سمعتُ من ابن المذهب جميعَ ما عنده ، وقال : توفي في تاسع عشر ربيع الآخر سنة أربع وأربعين وأربعمائة .

***

وأما ابن الحُصَين رحمه الله تعالى ، فقال الحافظ الذهبي : هو الصدر العالم الكبير المرتضَى مسنَد العراق ، أبوالقاسم هبة الله بن محمد بن عبد الواحد بن أحمد بن العباس بن الحُصَين الشيباني البغدادي الكاتب ، خال الوزير العادل عون الدين بن هُبَيْرة .

قال : ولدتُ في رابع ربيع الأول سنة اثنتين وثلاثين وأربعمائة ، وسمع المسنَد كاملاً من ابن المُذهِب في أواخر سنة ست وسبع وثلاثين وأربعمائة، وسمع منه أيضاً الغَيلانيّات ، وهي أحد عشر جزءاً ، ومن أبي محمد الحسين بن المقتدر ، وأبي القاسم التَنُوخي ، وأبي الطيب الطبري ، وآخرين ، وأملى مجالس بانتقاء ابن ناصر له . قرأ عليه المسنَد .

وسمعه منه حفّاظ العصر وأئمته ، منهم أبو الفضل بن ناصر ، قرأه عليه مراراً ، وأبو طاهر السِلَفي ، وأبو العلاء الهمَذاني ، وأبو القاسم بن عساكر ، وأخوه الصائن ، وأبوموسى المديني ، وقاضي القضاة أبوالحسن بن الدامغاني ، وقاضي القضاة أبوسعيد بن أبي‌عصرون ، والإمام أبوالفرج بن الجوزي ، وشيخ الشيوخ أبوأحمد بن سُكَينة ، وعبد الله بن أبي المجد الحربي ، وأبو العباس المنداني ، ولاحق بن حيدرة ، والحسين بن أبي نصر بن الفارض ، وعمر بن جُرَيرة[1] ، ومبارك بن مختار ، والقاضي عُبيد الله بن محمد الساوي ، وأبو محمد بن الخشاب النحوي ، وأبو محمد بن شدقيني ، وعلي بن محمد النحوي الواعظ ، وعبد الله بن أحمد العمري ، وأبوعلي حنبل بن عبدالله الرصافي ، وروى عنه خلق ، منهم أبو حفص عمر بن محمد بن طَبَرْزَد .

---

(١) هكذا بالأصل ، والذي في المشتبه للذهبي ١٠٦ أن «جريرة» بالتصغير : لقب عمر بن محمد القطان ، وذكر أنه مات سنة ٦٠٠ .

قال أبو سعد السمعاني: ثقة ديّن صحيحُ السماع ، واسع الرواية ، تفرّد وازدحموا عليه . وممن أخذ عنه معمر بن الفاخر ، وابن عساكر ، وعدة . وكانوا يصفونه بالسداد والأمانة والخيرية .

وقال ابن الجوازي : كان ثقة .

ومات في رابع عشر شوال سنة خمس وعشرين وخمسمائة ، ودفن بمقبرة باب حَرب ، قريباً من بشر الحافي رحمهما الله تعالى .

* * *

وأما حنبل رحمه الله تعالى . فهو المسنَد المعمر الصالح الخير مسنَد العراق ، أبو علي حنبل بن عبد الله بن الفرج بن سَعَادة الواسطي البغدادي الرّصافي المُكَبِّر .

وُلد سنة إحدى عشرة وخمسمائة ، ولما ولد بادر والده إلى شيخ الإسلام عبد القادر الكيلاني فأعلمه أنه وُلد له ولدٌ ذَكر ، فقال له : سم ابنك حنبلاً وأسمعه المسند ، فإنه يعمَّر ويُحتاج إليه . قال الذهبي : فكانت هذه من كرامات الشيخ رحمه الله تعالى . فسمَّعه أبوه وعُمْره اثنتا عشرة سنة جميعَ المسند من ابن الحُصَين بقراءة نحوي [عصره] أبي محمد بن الخشاب ، في شهر رجب وشعبان سنة ثلاث وعشرين وخمسمائة ، قراءةً بليغةً محررة ، ما حُفظ عليه فيها لحنةٌ ، وكان والده عبداً صالحاً ، قد وقف نفسه على السعي في مصالح المسلمين ، والمشي في حوائجهم ، ويحرض على تجهيز موتى الطرق ، ويُعين الملهوف .

ثم قال الحافظ المجوّد أبو الطاهر بن الأنماطي فيما قرأتُ بخطه : تتبعتُ سماعَ حنبل للمسند من عدة نسخ وأثبات ، وخطوط أئمة أثبات ، إلى أن شاهدت بها أصول سماعه لجميع المسند ، سوى أجزاء من أول مسند ابن عباس ، شاهدتُ بها نقلَ سماعه بخطِّ مَن يوثق به ، وسمعت منه جميعَ المسند ببغداد ، في نيف وعشرين مجلساً ،

ثم أخذتُ أرغبه في السفر إلى الشأم، وقلت له: يحصل لك من الدنيا شيء، وتُقبل عليك وُجوه الناس، فقال: دعني، فوالله ما أُسافر من أجلهم، ولا لما يحصل منهم، إنما أسافر خدمةً لرسول الله صلى الله عليه وسلم، أروي أحاديثه في بلدٍ لا تُروَى.
قال: ولما علم الله تعالى نيته الصالحة، أقبل بوجوه الناس عليه، وحرَّك الهممَ للسماع عليه، فاجتمع عليه جماعةٌ ما اجتمعوا بمجلس بدمشق.

قلت: [وذلك] في مجالس، آخرها في صفر سنة ثلاث وستمائة.

قال: فحدث بالمسند بالبلدة مرة، وبالجامع المظفَّري أخرى، وازدحم عليه الخلقُ وسمع منه السلطانُ الملكُ المعظَّم وأقاربُهُ، وأبو عُمر الزاهد، وسائر المقادسة، وحدَّث عنه الكبار بالمسند، كالشيخ الفقيه ببعلبك، وقاضي الحنفية شمس الدين عبد الله بن عطاء، والشيخ تقي الدين بن أبي اليسر، والشيخ شمس الدين بن قدامة، والشيخ شمس الدين أبي الغنائم بن غلان، والشيخ أبي العباس بن شيبان، والشيخ فخر الدين بن البخاري، والمرأة الصالحة زينب بنت مكّي.

وأما من حدث عنه ببعض المسند فعدد كثير، كالكمال عبد الرحيم بن عبد الملك، وأبي بكر بن محمد الهروي، وابن البخاري، وابن خليل، وابن الدَّبيثي، وخطيب مراد، والشيخ الضياء، وأبي علي البكري، ويعقوب بن المعتمد، وعبد الوهاب بن محمد.

ورجع إلى وطنه، فمر على حلب، فحدَّث بالمسند بها، ثم بالموصل، فحدَّث بالمسند بها أيضاً، وبإربلَ، ودخل إلى بغداد بخير كثير.

فتوفي بالرصافة في نصف المحرم سنة أربع وستمائة، عن نحو ثلاث وتسعين سنة، رحمه الله تعالى.

* * *

وأما ابن البخاري رحمه الله تعالى: فهو الشيخ الإمام العالم المحدِّث، الفقيه

الصالح ، الثقة الأمين، علي فخر الدين أبو الحسن ، بن أحمد بن عبد الواحد بن أحمد بن عبد الرحمن بن إسمعيل بن منصور ، السعدي المقدسي الحنبلي ، الشهير بابن البخاري ، لأن أباه شمس الدين أحمد توجه إلى بخارى وتفقه بها .

ولد الشيخ فخر الدين في آخر يوم من سنة خمس وتسعين وخمسمائة ، وأجازه في سنة ست وتسعين خلق ، وكتبوا له بالإجازة من خراسان ، وفارس ، وأصبهان، وبغداد ، ومصر ، والشام ، وغير ذلك .

ذكره شيخنا الحافظ تقي الدين أبو المعالي محمد بن رافع السلاّمي في ذيله على تاريخ بغداد ، ومن خطه نقلت ، فقال :

أبو الحسن بن أبي العباس الصالحي ، الملقب فخر الدين بن شمس الدين الحنبلي ، المعروف بابن البخاري .

سمع من أبي حفص عمر بن محمد بن طَبَرْزَد ، وحنبل بن عبد الله الرصافي ، وزيد بن الحسن الكندي ، والخضر بن كامل بن سالم بن سُبيع ، وأبي عبدالله محمد بن عبد الله بن البنّاء . والقاضي أبي القاسم عبد الصمد بن محمد بن الحَرَسْتَاني ، وداود بن أحمد بن مُلاَعب ، وأبي الفتوح محمد بن علي بن الجلاجلي ، ومحمد بن عمرون البكري ، وأبي المحاسن محمد بن كامل بن أسد التنوخي ، وأبي الحرم مكي بن ريان الماكسيني ، وعبد المجيد بن زهير الحربي ، وأبي المعالي محمد بن وهب بن الزنف ، وأبي الحسين غالب بن عبد الخالق الحنفي ، وأبي مسعود عبد الجليل بن مَنْدويه الأجهاني ، وأبي العباس هبة الله بن أحمد الكعقي ، وأبي المعالى أسعد ، وأبي محمد عبد الوهاب بن المنجا التنوخي ، وأبي القاسم أحمد بن عبد الله العطار ، وأبي الفضل أحمد بن محمد بن سيدهم ، وأبي محمد هبة الله بن الخضر بن طاوس ، وأبي المجد محمد بن الحسين القزويني ، وأبي عمر محمد ، وأبي محمد عبد الله ، ابني أحمد بن قدامة ، وست الكتبة نعمة بنت الطراح ، وأم الفضل زينب بنت إبرهيم القيسية .

وببغداد من أبي الفضل عبد السلام بن عبد الله الداهري ، وأبي حفص عمر بن كرم الدينوري ، وغيرهم .

وببيت المقدس من الحسن بن أحمد الأوقي ، وعمر بن بدر بن سعيد الموصلي .

وبمصر من أبي البركات عبدالقوي بن الحباب ، والحسين بن يحيى بن أبي الرواد .

وبالقاهرة من مرتضى بن العفيف .

وبالإسكندرية من ظافر بن طاهر بن شحم ، وجعفر بن علي الهمداني ، والحسين بن يوسف الشاطبي ، وعبدالوهاب بن رواح ، وعبد الرحمن بن مكي سبط السلفي

وبحلب من يوسف بن خليل ، وعمر بن سعيد بن محمش .

وأجاز له من أصبهان أبو المكارم أحمد بن محمد اللبان ، وأبو جعفر محمد بن أحمد الصيدلاني ، وغيرهما .

ومن بغداد أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن الجوزي ، ويوسف بن المبارك الخفاف ، وهبة الله بن السبط ، وعبد الله بن دَهبل بن كارة ، والمبارك بن المطوش ، وضياء بن الخُرَيف ، وعبد الرحمن بن أبي ياسر من ملاح الشط ، في آخرين .

ومن دمشق بركات الخشوعي .

وحدّث ، سمع منه الحفاظ سنة اثنتين وثلاثين وستمائة ، سمع عليه الحافظ رشيد الدين علي بن يحيى العطار ، وسمع منه المنذري عبد العظيم ، والقاضي بدر الدين بن جماعة ، وأبو محمد الحارثي ، وأبو الحجاج المِزّي ، وأبو محمد الحلبي ، والبرزالي ، وأبو الحسن بن علي بن المطار ، والشيخ تقي الدين بن تيمية ، وأبو الحسن علي بن حسن الأموري ، وصالح بن مختار الأسنوي ، وأبو محمد عبد العزيز البغدادي ، وأبو عمر نصر الله ، وابنا عمّي وهبٌ وهمامٌ ابني مُنَبه ، وابن عمّي الآخر شافع بن محمد ، وأبو الفضل عبد الأحد بن سعد الله بن نجيح الحراني ، وأبو إسحق إبرهيم بن علي

المعروف بابن عبد الحق الحنفي، وعبد الكريم بن عبد النور الحلبي، وأحمد بن يعقوب بن أحمد الصابوني، ووالده، وقاضي القضاة عز الدين محمد بن سليمان بن حمزة، والقاضي شمس الدين محمد بن أبي بكر بن النقيب.

قال: فذكره الفرضي في معجمه، ونقلته من خطه فقال: نزيل سفح قاسيون، كان شيخاً عالماً، فقيها زاهداً، عابداً مسنداً، مكثراً وقوراً، صبوراً على قراءة الحديث، مكرماً للطلبة، ملازماً لبيته، مواظباً على العبادة، وكان من بيت العلم والحديث، والرواية والتحديث، وكان مسند عصره، ورحلة الدنيا في زمانه، قد ألحق الأصاغر بالأكابر، والأحفاد بالأجداد، قد حدَّث نحواً من ستين سنة، وتفرد بالرواية عن شيوخ كثيرة، سماعاً وإجازة. انتهى، أي كلام الفرضي.

ثم قال شيخنا ابن رافع: وخرج له الحافظ أبو العباس أحمد بن محمد الظاهري معجماً، وحدَّث به مراراً، وحفظ المقنع، وعرضه على مصنفه الشيخ موفق الدين بن قدامة سنة ست عشرة وستمائة، وتفقه واشتغل، وكان فاضلاً صالحاً، كامل العقل متين الديانة، مكرمًا لأهل الحديث، يحفظ كثيراً من الأحاديث والنوادر، والملح والطرف، وتفرد بأكثر مسموعاته وإجازاته، وهو آخر من حدث عن ابن طَبَرْزَد بالسماع. انتهى ما نقلته من خط شيخنا ابن رافع.

قلت: وقد قرئ عليه المسند مرات، آخرها في سنة تسع وثمانين وستمائة، سمعه منه جماعات، بقراءة الإمام كمال الدين أحمد بن أحمد بن محمد بن الشريشي، منهم شيختنا أم محمد ست العرب بنت محمد ابنة حاضرة في الرابعة، وآخرهم شيخنا صلاح الدين محمد بن أحمد المذكور، وسمع منه غير ذلك جميع مشيخته التي خرجها الظاهري، وكتاب الشمائل للترمذي، وسمع منه غير ذلك.

ولا زال يحدِّث حتى توفي يوم الأربعاء ثاني شهر ربيع الآخر سنة تسعين وستمائة،

بجبل قاسيون ، ودفن من يومه بسفحه ، بظاهر دمشق ، عند قبر والده ، رحمهما الله تعالى .

***

وأما شيخنا صلاح الدين رحمه الله تعالى : فهو الشيخ الصالح الصدوق الديّن الخيّر ، المسند ، رحلة الآفاق ، ومسند الدنيا على الإطلاق ، أبو عبد الله ، ويقال أبو عمر ، محمد ، بن الشيخ العالم الصالح الأصيل تقي الدين أبي العباس أحمد ، بن الشيخ العالم عز الدين أبي إسحق إبرهيم ، بن الشيخ الجليل الصالح شرف الدين أبي محمد عبد الله ، بن شيخ الإسلام أبي عمر محمد بن أحمد بن قُدَامة بن نصر الله المقدسي الحنبلي .

فإنه ولد في سنة ثلاث وثمانين وستمائة وربما كُتب سنة أربع ، وهو غلط ، واعتني به من الصغر ، فأسمعوه الكثيرَ من الشيخ فخر الدين بن البخاري ، وسمع أيضاً من الشيخ تقي الدين إبرهيم بن فضل الواسطي ، وأخيه محمد ، وشمس الدين محمد بن الكمال عبد الرحيم بن عبد الواحد المقدسي ، والشيخ تقي الدين أحمد بن مؤمن الصوري ، وعيسى بن أبي محمد المغاري ، والعز إسمعيل بن الفراء وغيرهم ، وخرّج له الشيخ صدر الدين سليمان الياسوفي مشيخة عن شيوخ السماع ، قرأتها عليه ، وأجاز له النجم أبو الفتح يوسف بن المجاور ، وعبد الرحمن بن الزمن ، وزينب بنت مكي ، وزينب بنت العلم ، وغيرهم ، وحدث بأكثر مسموعاته .

وكان رحمه الله عبداً خاشعاً ناسكاً ، من بيت الرواية والعلم والصلاح ، حدث هو وأخوه وأبوه وجده وجد أبيه وجد جده ، رحمهم الله تعالى ، سريع الدمعة إذا قرئ عليه الحديث ، حسن الإصغاء إلى السماع .

أمّ بمدرسة أبي جده أبي عمر بالسفح أكثرَ من ستين سنة ، وأسمَعَ الحديث نحو خمسين سنة ، سمع منه الأئمة والحفاظ وغيرهم .

صحبتُه وترددتُ إليه من سنة سبعين وسبعمائة ، أسمع عليه الحديث ، فلم أترك شيئاً من مسموعاته فيما علمتُ إلا قرأتُه أو سمعتُه عليه، وقرأتُ عليه أيضاً كثيراً من مروياته بالإجازة ، وانتقيتُ عليه أحاديث من المعجم الكبير للطبراني فقرأتها عليه.

وكان أولاً عسراً في الإسماع ، ثم إنه صار متصديا للإسماع ليلاً ونهاراً ، لا يردُّ من يقصده للسماع في وقت من الأوقات ، ومُتِّع بسمعه و بصره وعقله إلى أن توفي .

أخذت عنه المسند كاملا بقراءتي وقراءة غيري في نحو سبع سنين ، وسببه أن نسخةَ أصل سماعه كانت بخط الحافظ الضياء رحمه الله تعالى ، فوُجد بعضها ، وكان شيخنا الحافظ الكبير شمس الدين أبو بكر بن المحب يحرّضنا على سماع المسند منه ، ويقول : لا تشكُّوا في أنه سمعه كاملاً على ابن البخاري ، فبادروا إلى سماعه كاملاً ، فكنا نقرؤه من نسخة وقف الباذرائية ، لوضوحها ، وكان بعضُ المحدثين قد احتاط عليها ، ولا يعطي منها شيئاً إلا بعد تعب كثير ، فطالت المدة لذلك

وسمعه أيضاً كاملاً الشيخ صدر الدين سليمان الياسوفي ، والشيخ بدر الدين محمد بن مكتوم ، والشيخ شهاب الدين أحمد بن شيخنا عماد الدين بن الحسباني، والشيخ شهاب الدين أحمد بن الشيخ علاء الدين حجي، والمحدث شمس الدين محمد بن محمود بن إسحق الحلبي، والشيخ الإمام ناصر الدين محمد بن عشائر الحلبي ، والشيخ جمال الدين محمد بن ظهيرة المكي، وصاحبنا أبو عبد الله محمد بن محمد بن ميمون البلوي الأندلسي، والفقيه الفاضل شمس الدين محمد بن عثمان بن سعد بن السقّا المالكي وغيرهم .

وسمع بعضه عليه جماعة كثيرون .

ولم يظهر سماعه بالمجلد الثاني من مسند أبي هريرة ، ولا بمسند عبد الله بن عمرو بن العاص ، وفي آخره مسند أبي رمثة نحو ثلاثة أوراق ، ولا بمسند الكوفيين ، ومسند ابن مسعود ، ومسند ابن عمر ، ومسند الشاميين، ومسند المكيين ، والمدنيين ،

لعدم وقوفنا على ذلك من نسخة الحافظ الضياء ، فكنا نقرأ عليه ذلك إجازة ، إن لم يكن سماعاً .

فظهر قبل موته مجلدان من ذلك بخط الحافظ الضياء ، وفيهما أصل سماعه ، فقال لنا الحافظ ابنُ المحبّ : ألم أقل لكم إنه سمع جميعَ المسند ؟ !

ثم بعد وفاة الشيخ صلاح الدين ظهر تتمة المسند بخط الحافظ الضياء ، وظهر سماعه ، فسرّ طلبة الحديث بذلك ، فقلنا لشيخنا الحافظ أبي بكر بن المحب : هل في الإخبار نقول « إجازةً إن لم يكن سماعاً ثم ظهر سماعه » ؟ فقال : لا يحتاج ، هكذا وقع في سنن ابن ماجة لأبي زرعة طاهر بن الحافظ أبي طاهر محمد المقدسي ، فأفتى المعتبرون من الحفاظ أنه لا يحتاج .

ومن العجب أن مثل هذا الشيخ يروي مثل المسند الجليل ، الذي لم يكن على وجه الأرض حديث أعلى منه ، ولم يكن في همة حكام الزمان ولا رؤسائهم أن يجمعوا على إسماعه جماعةً من الشباب والصبيان والصغار ، لينتفع الناس به كما انتفع مَن قبلهم بمن مَضى ، حتى وصل إلينا بهذا العلو ، ولكن قصرت الهمم ، وتغيرت الأحوال ، وقرب الزمان ، فلذلك لا أعلم بوجه الأرض مَن يروي هذا المسندَ العظيم ، عن هذا الشيخ الجليل غيري ، فلا حول ولا قوة إلا بالله .

وإني إن سموت ببعض علم   وإن قالوا : فلان حاز فضلاً
وإن علّيتُ إسناداً فقولوا :   لعمر أبيك ما نسب المعلّى

توفي شيخنا صلاح الدين الإمام المذكور يوم السبت رابع عشر شوال سنة ثمانين وسبعمائة بمنزله ، بدير الحنابلة بالسفح ، ودفن يوم الأحد بروضة جده الشيخ أبي عمر من سفح قاسيون ، ونزل الحديث بموته درجة .

٭٭٭

ومن طرف الحديث ، وظرف أهل التحديث، ما ذكرته في كتابي (البداية في علوم الرواية) في نوع السابق واللاحق ، أن الحافظ زكي الدين عبد العظيم المنذري روى عن ابن البخاري، وذكره في معجم شيوخه ، وتوفي سنة ست وخمسين وستمائة ، وروى عن ابن البخاري شيخنا صلاحُ الدين المذكور ، وتوفي سنة ثمانين وسبعمائة ، وبين وفاتيهما مائة وأربع وعشرون سنة .

٭٭٭

وأنشد المصنف رحمه تعالى لنفسه في التاريخ المذكور :

حديثُ النبيِّ المصطفى خير مسندِ ... وسنّتهُ الغراء أرفعُ مسندِ

فطوبى لمن أضحى الحديثُ شعارَه ... وبُشرى لمن أمسى بالأخيار يقتدي

ويا فوزَ من بات النبيُّ سميرَه ... ومن نوره في ظلمة الجهل يهتدي

ويا سعدَ من كان الصحابةُ حوله ... يروح عليهم بالحديث ويغتدي

وإن كتابَ المسند البحر للرضى ... فتى حنبل للدين آيةُ مُسندِ

حوى من حديث المصطفى كلّ جوهرٍ ... وجمّع فيه كلَّ درٍّ منضّدِ

فما من صحيحٍ كالبخاريّ جامعاً ... ولا مسندٍ يُلقى كمسند أحمدِ

إمامُ هدًى للناس أفضل مُقتدًى ... سديدٍ كبيرٍ للخلائق مُرشد

هو الصابر الأوّاه في محَنٍ دَهَتْ ... له المِنة العظمى على كل مهتدي

ويكفيه مدحُ الشافعي وثناؤُه ... فسبحانَ من قد خصه بالتفرّدِ

لقد طاف في الأقطار شرقاً ومغرباً ... وجابَ الفيافي فدفداً بعد فدفدِ

فأشياخُه فيه زُهاءُ ثلاثةٍ ... مئينَ ، سوى ما لابنه فيه مسنَدِ

ونحو ثمانٍ من مئينَ صحابةٍ ... حواه كما حققتُ هذا بمسند

فأبرزَ هـذا البحر من سبع مايةٍ ألوفاً أحاديثـاً بغير تأوُّد
فجاء إماماً حجةً يُقتـدى به إذا اختلفوا في سنة فبه اقْتَد
وأعلى حديثٍ في الزمان مصحَّح بعدل رضًى عن مسند بعد مسند
وإني بحول الله أرويه عالياً تماماً، وفي الدنيا بذاك تَفَرُّدي
سماعاً لبعض ثم بعض قراءةً على شـيخي الخير الصلاح محمد
عن ابن البخاري عن رواية حنبل فعن هبة الله الرئيس المسوَّد
عن الحسن بن المُذْهِبِ أنقُلْ عن أحمدِ بْـ ـنِ حمدانَ عن حَبْر إمام مسدَّد
وذلك عبد الله نجلُ ابن حنبل وذا عن أبيه شيخ الإسلام أحمد
فبيني وبين الشيخ سبعة أنفسٍ عدول إذا ما رمتهم بتعدد
أجزتُ لكل السامعين وقارئٍ رواية ما أروي بغير تردد
وماليَ من نظم ونثر وكلَّ ما جمعتُ وما صنفتُ في كل مقصد
فياقارئاً هذا الكتاب وسامعاً ألا فاشكر الرحمنَ ربَّك واحد
لتوفيقه أن كان في يوم ختمه بذا الحرم الزاكي الشريف الممجد
وحاديَ عشر الشهر ليلةَ مولد النـ ـبي فأَسْعِدْ يومَ عيـد ومولد
عليه صلاة الله ثم سـلامه وآلٍ له والصحبِ أفضلِ من هُدي
إلهيَ يا الله يا خيرَ راحم وأعظمَ مأمول وأكرمَ مُسعِد
أنلنا من الغفران والعفو سُؤلنا وبالخير فاختمْ يا إلهي وسيدي
وأبقِ لنا السلطانَ الأشرف واحفظن وسخِّر له مُلْكَ البلاد وخلِّد
ووفقه للخيرات وانصرْ جيوشَهَ وهنئه بالملك الشريف وأيِّد
وأصلح ولاةَ المسلمين جميعَهم ووفقهمْ سُبْلَ الرشاد وسدد
إلهيَ وارحم كلَّ من هو حاضر ومن غاب أيضاً فاعفُ [عنه] وأسعد

وما كان من حاجاتنا فاقضه لنا ... وحُطنا وجدْ وانصرْ وسَلِّمْ وأيد
وقد قاله العبدُ الفقيرُ محمدٌ ... فتى الجزري السائلُ العفوَ في غد

***

تم المصعد الأحمد بحمد الله وعونه وتوفيقه، على يد معلقه لنفسه الفقير إلى الله تعالى العلي، عبد المنعم بن علي بن مفلح الحنبلي، عفا الله عنهم بمنه وكرمه، في الرابع والعشرين من ذي القعدة الحرام، من شهور سنة خمس وتسعين وثمان مائة، أحسن الله تقضيها في خير وعافية، بمحمد وآله، والحمد لله وحده، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليماً دائماً.

***

ثم في آخره ما نصه:

عن خط المصنف ما صورته:

الحمد لله وسلامه على عباده الذين اصطفى.

وبعد: فقد قرأ عليَّ الشيخُ الإمام العالم المحدِّث، المخرج المفيد، تقي الدين، شرفُ المحدثين، أوحد الناقلين، أبو الفضل محمد بن محمد بن فهد الهاشميّ المكي، نفع الله بفوائده، جميعَ مسند الإمام المعظم المبجل، أزهد الأئمة، أبي عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل، رحمه الله تعالى ورضي عنه، وسمعه بقراءته جمٌّ غفير، وخلق كثير، منهم أولاده أبو بكر وعمر وأم هانئ وأم البنين، وحضر ابنُه عثمانُ من أول حديث حذيفة بن اليمان إلى آخر مسند الأنصار، وجميعَ مسند أنس بن مالك الأنصاري، وجميع مسند أبي هريرة، ومسند عبد الله بن مسعود، ومسند عبد الله بن عمر، ومسند بني هاشم، ومسند ابن عباس، ومسند البصريين، في آخر الثانية، حسبما ضبطه أبوه له، وأخبرني به، صحّ في مجالسَ، آخرُها يوم الثالث عشر من

شهر ربيع الأول سنة ثمان وعشرين وثماني مئة بالمسجد الحرام، وقد أجزتُ لهم رواية ذلك عني وجميعَ ما يجوز لي روايته بشرطه ، وكذلك لمن سمعه معهم ، أو بعضه ، أو حضره أو بعضه ، ويَتلفَّظُ بذلك ، إجازةَ مُعيَّنٍ لمعيَّن .

قاله وكتبه محمد بن محمد بن محمد بن الجزري ، عفا الله عنهم ، حامداً ومصلياً ، في التاريخ المذكور ، بالمسجد الحرام ، وحسبنا الله ونعم الوكيل .

وسمع أيضاً هو وأولاده المذكورون جميع هذا الجزء المسمى :(المصعد الأحمد في ختم مسند أحمد) بقراءته ، وجميعَ القصيدة الدالية التي هي من نظمي ، بقراءة شهاب الدين يوسف بن الحسين الحَصْكفي ، المقرئ بالحرم الشريف ، وصح ذلك في التاريخ المذكور بالحرم الشريف ، وأجزتهم أجمعين ، كتبه محمد الجزري لطف الله به . انتهى صورة خط الحافظ العلامة ابن الجزري .

كلمة ابن الجوزي

بشأن المسند في صيد الخاطر ٢٤٥ — ٢٤٦

فصل : كان قد سألني بعض أصحاب الحديث : هل في مسند أحمد ما ليس بصحيح ؟ فقلت : نعم . فعُظِّم ذلك على جماعة يُنسبون إلى المذهب ، فحملتُ أمرهم على أنهم عوام ، وأهملتُ فكر ذلك . وإذا بهم قد كتبوا فتاوى ، فكتب فيها جماعة من أهل خراسان ، منهم أبو العلاء الهمداني ، يعظمون هذا القول ، ويردونه ، ويقبحون قول من قاله ! فبقيتُ دهشاً متعجباً . وقلت في نفسي : واعجبا ! صار المنتسبون إلى العلم عامة أيضاً ، وما ذاك إلا أنهم سمعوا الحديث ولم

يبحثوا عن صحيحه وسقيمه ، وظنوا أن من قال ما قلته قد تعرض للطعن فيما أخرجه أحمد . وليس كذلك ، فإن الإمام أحمد روى المشهور والجيد والرديء ، ثم هو قد ردَّ كثيراً مما روى ولم يقل به ، ولم يجعله مذهباً له . أليس هو القائل في حديث الوضوء بالنبيذ : مجهول ؟ ومن نظر في كتاب العلل الذي صنفه أبو بكر الخلال رأى أحاديث كثيرة كلها في المسند ، وقد طعن فيها أحمد . ونقلتُ من خط القاضي أبي يعلى محمد بن الحسين الفرّاء في مسألة النبيذ ، قال : إنما روى أحمد في مسنده ما اشتهر ولم يقصد الصحيح ولا السقيم ، ويدل على ذلك أن عبد الله قال : قلت لأبي : ما تقول في حديث رِبْعيّ بن حراش عن حذيفة ؟ قال : الذي يرويه عبد العزيز بن أبي روّاد ؟ قلت : نعم ، قال : الأحاديث بخلافه ، قلت : فقد ذكرتَه في المسند ؟ قال : قصدتُ في المسند المشهور ، فلو أردتُ أن أقصد ما صح عندي لم أروِ من هذا المسند إلا الشيء بعد الشيء اليسير ، ولكنكَ يا بنيّ تعرف طريقتي في الحديث : لستُ أخالف ما ضعف من الحديث إذا لم يكن في الباب شيء يدفعه .

قال القاضي : وقد أخبر عن نفسه كيف طريقه في المسند . فمن جعله أصلاً للصحة فقد خالفه وترك مقصده .

قلت : قد غمني في هذا الزمان[1] أن العلماء لتقصيرهم في العلم صاروا كالعامة ، وإذا مرّ بهم حديث موضوع قالوا : قد رُوي ! والبكاء ينبغي أن يكون على خساسة الهمم !!

ولا حول ولا قوة إلا بالله العليّ العظيم .

---

(١) ابن الجوزى ولد سنة ٥١٠ ومات سنة ٥٩٧ .

ترجمة الإمام أحمد بن حنبل

من كتاب (تاريخ الإسلام) للحافظ الذهبي ٦٧٣ — ٧٤٨

بسم الله الرحمن الرحيم

الإمام أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد بن إدريس بن عبد الله بن حيّان بن عبد الله بن أنس بن عوف بن قاسط بن مازن بن شيبان بن ذُهْل بن ثعلبة بن عُكابة بن صَعْب بن عليّ بن بكر بن وائل . الإمامُ أبو عبدالله الشيباني هكذا نَسَبه ولدُه عبدُ الله ، واعتمده أبو بكر الخطيب وغيره .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا صالح بن أحمد قال : وجدتُ في كتاب أبي نسبه ، فساقه إلى مازن ، ثم قال : ابن هذَيل بن شيبان بن ثعلبة بن عُكابة .

قلت : قال فيه « هذيل بن شيبان » كما ترى ، وهو غلط .

وقال البَغوي : حدثنا صالح بن أحمد ، فقال فيه « ذهل » بدل « هذيل » . وكذا نقل إبرهيم بن إسحق الغسيل عن صالح . فدلّ على أن الوهم من ابن أبي حاتم .

وأما قول عباس الدُّوري وأبي بكر بن أبي داود أن الإمام أحمد كان من بني ذُهْل بن شيبان ، فغلطهما الخطيبُ ، وقال : إنما كان من بني شيبان بن ذُهل بن ثعلبة ، قال : وذُهْل بن ثعلبة هو عمُّ ذهْل بن شيبان بن ثعلبة ، فينبغي أن يقال فيه « أحمد بن حنبل الذهلي » على الإطلاق ، وقد نسبه البخاري إليهما معاً ، فقال : الشيباني الذهلي .

وأما ابن ماكُولا ، مع بصره بالأنساب ، فوهِمَ وقال في سياق نسبه ، مازن بن ذهل بن شيبان بن ذهل بن ثعلبة . ولم يتابَع عليه .

وقال صالح بن أحمد : قال لي أبي : وُلدتُ في ربيع الأول سنة أربع وستين ومائة . قال صالح : وجيء بأبي بَجلٍ من مَرْوَ ، فتوفي أبوه محمد شاباً ابن ثلاثين سنة ، فوليت أبي أمُّه ، وقال أبي : وكانت قد ثقبت أذنيَّ ، فكانت أمي تصير فيهما لؤلؤتين ، فلما ترعرعتُ نزعتهما ، فكانتا عندها ، فدفعتْهما إلي فبعتهما بنحوٍ من ثلاثين درهماً .

وقال عبد الله بن أحمد بن حنبل وأحمد بن أبي خيثمة : إنه وُلدَ في ربيع الآخر .

وقال حنبل : سمعتُ أبا عبد الله يقول : طلبت الحديث سنة تسع وسبعين ، وجاءنا رجل وأنا في مجلس هشيم : فقال : مات حماد بن زيد .

فمن شيوخه : هشيم ، وسفيان بن عيينة ، وإبرهيم بن سعد ، وجرير بن عبد الحميد ، ويحيى القطان ، والوليد بن مسلم ، وإسمعيل بن علية ، وعلي بن هاشم بن البريد ، ومعتمر بن سليمان ، وعمار بن محمد ابن أخت الثوري ، ويحيى بن سليم الطائفي ، وغُندرٌ ، وبشر بن المفضل ، وزياد البكّائي ، وأبو بكر بن عياش ، وأبو خالد الأحمر ، وعباد بن عباد المهلبي ، وعباد بن العوام ، وعبد العزيز بن عبد الصمد العميّ ، وعمر بن عبيد الطنافسيّ ، والمطلب بن زياد ، ويحيى بن أبي زائدة ، والقاضي أبو يوسف ، ووكيع ، وابن نمير ، وعبد الرحمن بن مهديّ ، ويزيد بن هرون ، وعبد الرزّاق ، والشافعي وخلق كثير .

وممن روى عنه: خ م د ، ومن بقي بواسطة ، وفي خ د أيضاً بواسطة[1] ، وابناه :

---

(١) رمز المؤلف لأصحاب الكتب الستة برموز المحدثين المعروفة . فهو يريد أن البخاري ومسلماً وأبا داود رووا عن أحمد مباشرة ، وأن الباقين ، وهم الترمذي والنسائي وابن ماجة ، رووا عنه بواسطة ، وأن البخاري وأبا داود رويا عنه بواسطة أيضاً .

صالحٌ، وعبد الله؛ وشيوخه: عبد الرازق، والحسن بن موسى الأشيب، والشافعيّ، لكنه قال «الثقة» ولم يسمّه، وأقرانُه: عليّ بن المَديني، ويحيى بن مَعين، ودُحَيم الشامي، وأحمد بن أبي الحواريّ، وأحمد بن صالح المصري. ومن القدماء: محمد بن يحيى الذُّهلي، وأبَوَا زُرْعة[1]، وعبّاس الدُّوري، وأبو حاتم، وبَقيّ بن مَخْلد، وإبرهيم الحَرْبي، وأبو بكر الأثرم، وأبو بكر المَرُّوذي، وحرب الكِرْماني، وموسى بن هرون، ومَطين، وخلق، آخرُهم أبو القاسم البغوي.

وقال أبو جعفر بن ذَريح العكبري: طلبتُ أحمد بن حنبل لأسأله عن مسئلة، فسلمتُ عليه، وكان شيخاً مخضوباً طُوالاً أسمرَ شديد السمرة.

وقال الخطيب: ولد أبو عبد الله ببغداد، ونشأ بها، وطلب العلم بها، ثم رحل إلى الكوفة والبصرة ومكة والمدينة واليمن والشأم والجزيرة.

وقال أحمد: مات هُشيم سنة ثلاث وثمانين، وخرجتُ إلى الكوفة في تلك الأيام، ودخلتُ البصرة سنة ست وثمانين، ثم دخلتها سنة تسعين، وسمعت من عليّ بن هاشم سنة تسع وسبعين[2]، ثم عدتُ إليه المجلسَ الآخر وقد مات، وهي السنة التي مات فيها مالك.

وقال: قدمنا مكة سنة سبع وثمانين وقد مات الفضيل، وفي سنة إحدى وتسعين، وفي سنة ستّ، وأقمت بمكة سنة سبع، وخرجنا سنة ثمانٍ، وأقمت سنة تسع وتسعين عند عبد الرزاق، وحججتُ خمس حجج، منها ثلاث راجلاً، وأنفقتُ في إحدى

---

(١) هما: أبو زرعة الرازي الحافظ، واسمه عبيد الله بن عبد الكريم، وأبو زرعة الدمشقي، واسمه عبد الرحمن بن عمرو بن عبد الله بن صفوان النصري.

(٢) في تاريخ بغداد ٤: ٤١٦ زيادة: «في أول سنة طلبت الحديث» يعني أن أول طلبه الحديث كان سنة ١٧٩ سمع من علي بن هاشم.

هـذه الحجج ثلاثين درهماً ، ولو كان عندي خمسون درهماً لخرجت إلى جرير بن عبد الحميد .

وقال : رأيت ابن وهب بمكة ، ولم أكتب عنه .

وقال محمد بن حاتم : ولي جدُّ الإمام أحمد بن حنبل سرخس ، وكان من أبناء الدعوة . فحُدِّثت أنه ضربه المسيب بن زهير الضبي ببخارى [1] ، لكونه شغّب الجند.

وعن عباس النحوي قال : رأيت أحمد بن حنبل حسن الوجه رَبْعة يخضب بالحناء خضاباً ليس بالقاني ، وفي لحيته شعرات سود ، ورأيت ثيابه غلاظاً إلا أنها بيض ، ورأيته معتمًا وعليه إزار .

وقال حنبل : سمعت أبا عبد الله يقول : ذهبت لأسمع من ابن المبارك فلم أدركه ، وكان قد قدم فخرج إلى الثغر ، فلم أسمع منه ولا رأيته .

وقال عارم أبو النعمان : وضع أحمد عندي نفقته ، فكان يجيء فيأخذ منها حاجته ، فقلت له يوماً : يا أبا عبد الله ، بلغني أنك من العرب ؟ فقال : يا أبا النعمان، نحن قوم مساكين ، فلم يزل يدافعني حتى خرج ، ولم يقل لي شيئاً .

وقال صالح : عزم أبي على الخروج إلى مكة ، ورافق يحيى بن معين، فقال أبي: نحج ونمضي إلى صنعاء ، إلى عبد الرزاق،قال:فمضينا حتى دخلنا مكة،فإذا عبدالرزاق في الطواف ، وكان يحيى يعرفه ، فطفنا ثم جئنا إلى عبد الرزاق ، فسلم عليه يحيى ، وقال: هذا أخوك أحمد بن حنبل، فقال: حيّاه الله ، إنه ليبلغني عنه كلُّ ما [2] أسرُّ به ، ثبتّه الله على ذلك ، ثم قام لينصرف ، فقال يحيى : ألا نأخذ عليه الموعد ؟ فأبى أحمد ، وقال لِمَ أغيِّرُ النيّة في رحلتي إليه ؟ أو كما قال ، ثم سافر إلى اليمن لأجله ، وسمع منه الكتب وأكثر عنه .

---

(١) رسمت في الأصل « ببخارا » .

(٢) رسمت في الأصل « كلما » .

فصــــــل

في إقباله على العلم واشتغاله وحفظه

قال الخلال : أخبرنا المرُّوذي أن أبا عبد الله قال له : ما تزوجتُ إلا بعد الأربعين .

وعن أحمد الدورقيّ عن أبي عبد الله قال : نحن كتبنا الحديث من ستة وجوه وسبعة وجوه ، لم نضبطه ، كيف يضبطه من كتبه من وجه واحد ! !

وقال عبد الله بن أحمد بن حنبل : سمعت أبا زُرعة يقول : كان أبوك يحفظ ألف ألف حديث ، فقيل له : وما يدريك ؟ قال : ذاكرته فأخذت عليه الأبواب .

وقال حنبل : سمعت أبا عبد الله يقول : حفظت كل شيء سمعته من هشيم وهشيم حيٌّ .

وقال عبد الرحمن بن أبي حاتم قال سعيد بن عمرو البرذعي : يا أبا زرعة ، أنت أحفظ أم أحمد بن حنبل ؟ قال : بل أحمد ، قلت : وكيف علمتَ ؟ قال : وجدت كتبه ليس في أوائل الأجزاء ترجمة أسماء المحدثين الذين سمع منهم ، فكان يحفظ كل جزء ممن سمعه ، وأنا لا أقدر على هذا .

وعن أبي زرعة قال : حُزِرَتْ[(١)] كتب أحمد يوم مات فبلغت اثني عشر حملاً وعدلاً ، ما كان على ظهر كتاب منها « حديث فلان » ولا في بطنه « حدثنا فلان » وكل ذلك كان يحفظ على ظهر قلبه .

وقال الحسن بن منبه : سمعت أبا زرعة قال : أخرج إليّ أبو عبد الله أجزاء

(١) في الأصل « حزر » .

كلها « سفيان » « سفيان » ، ليس على حديث منها حدثنا فلان ، فظننتها عن رجل واحد ، فانتخبت منها ، فلما قرأ علي جعل يقول : حدثنا وكيع ويحيى حدثنا فلان ، فعجبت من ذلك ، وجهدت أن أقدر على شيء من هذا ، فلم أقدر .

وقال المرُّوذي : سمعت أبا عبد الله يقول : كنت أذاكر وكيعاً بحديث الثوري ، وكان إذا صلى العشاء الآخرة خرج من المسجد إلى منزله ، فكنت أذاكره ، فربما ذكر تسعة ، عشرة ، أحاديث[1] فأحفظها ، فإذا دخل قال لي أصحاب الحديث : أملَّ علينا ، فأملها عليهم[2] .

وقال الخلال : حدثنا أبو إسمعيل الترمذي ، سمعت قتيبة بن سعيد يقول : كان وكيع إذا كانت العتمة ينصرف معه أحمد بن حنبل ، فيقف على الباب فيذاكره ، فأخذ وكيع ليلة بعضادتي الباب ، ثم قال : يا أبا عبد الله : أريد أن ألقي عليك حديث سفيان ، قال : هات ، قال : تحفظ عن سفيان عن سلمة بن كهيل كذا ؟ قال : نعم حدثنا يحيى ، فيقول : سلمة كذا وكذا ؟ فيقول : حدثنا عبد الرحمن ، فيقول ، وعن سلمة كذا وكذا ؟ فيقول : أنت حدثتنا ، حتى يفرغ من سلمة ، ثم يقول أحمد : فتحفظ عن سلمة كذا وكذا ؟ فيقول وكيع : لا ، ثم يأخذ في حديث شيخ شيخ ، قال : فلم يزل قائماً حتى جاءت الجارية فقالت : قد طلع الكوكب ، أو قالت : الزهرة .

وقال عبد الله : قال لي أبي : خذ أيَّ كتاب شئت من كتب وكيع ، فإن شئت أن تسألني عن الكلام حتى أخبرك الإسناد ، وإن شئت بالإسناد حتى أخبرك عن الكلام .

---

(١) يريد « تسعة أحاديث ، عشرة أحاديث » فساق العددين مساق العد ، فاختصر .

(٢) أملها عليهم : أملاها . يقال « أمله » و « أملاه » على تحويل التضعيف . وفي التنزيل (فليملل وليه بالعدل) .

وقال الخلال : سمعت أبا القاسم بن الجبُّلي[1] وكفاك به ، يقول : أكثر الناس يظنون أن أحمد إذا سئل كأنّ علم الدنيا بين عينيه .

وقال إبرهيم الحربي : رأيت أحمد كأن الله جمع له علم الأولين والآخرين .

وعن أحمد بن سعيد الرازي قال : ما رأيت أسود الرأس أحفظ لحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا أعلم بفقهه ومعانيه من أحمد بن حنبل .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أحمد بن سلمة سمعت إسحق بن راهويه يقول : كنت أجالس بالعراق أحمد بن حنبل ويحيى بن معين وأصحابنا ، وكنا نتذاكر الحديث من طريقين وثلاثة ، فيقول يحيى من بينهم : وطريق كذا ، فأقول : أليس قد صح هذا بإجماع منا ؟ فيقولون : نعم . فأقول : ما تفسيره ؟ ما فقهه ؟ فيقفون كلهم إلا أحمد بن حنبل .

وقال الخلال : كان أحمد قد كتب كتب الرأي وحفظها ، ثم لم يلتفت إليها .

وقال أحمد بن سِنان : ما رأيت يزيد بن هرون لأحد أشدّ تعظيمًا منه لأحمد بن حنبل ، ولا رأيته أكرم أحداً مثله ، وكان يقعده إلى جنبه ويوقره ولا يمازحه .

وقال عبد الرزاق : ما رأيت أفقه من أحمد بن حنبل ولا أورع .

وقال إبرهيم بن شماس : سمعت وكيعاً يقول : ما قدم الكوفة مثل ذاك الفتى ، يعني أحمد ، وسمعت حفص بن غِياث يقول ذلك .

وعن عبد الرحمن بن مهدي ، قال ما نظرت إلى أحمد بن حنبل إلا تذكرت به سفيان الثوري .

---

(١) بفتح الجيم وضم الباء الموحدة المشددة ، واسمه « إسحق بن إبرهيم » انظر المشتبه ٨٩ وتاريخ بغداد ٦ : ٢٧٨ ولسان الميزان ٣٤٨ .

وقال القواريري: قال لي يحيى القطانُ : ما قدم عليّ مثلُ أحمد بن حنبل ويحيى بن معين .

وقال أبو اليمان : كنت أشبه أحمد بن حنبل بأرطاة بن المنذر[1]

وقال الهيثم بن جميل : إن عاش هذا الفتى سيكون حجة على أهل زمانه ، يعني أحمد .

وقال قتيبة : خيرأهل زماننا ابنُ المبارك ، ثم هذا الشاب ، يعني أحمد بن حنبل .

وقال أبو داود : سمعت قتيبة يقول : إذا رأيتَ الرجل يحبُّ أحمد فاعلم أنه صاحب سنة .

وقال عبد الله بن أحمد بن شبويه عن قتيبة : لو أدركَ أحمدُ عصر الثوريّ والأوزاعي ومالك والليث لكان هو المقدَّم ، فقلت لقتيبة : تضم أحمد إلى التابعين ؟ فقال : إلى كبار التابعين . وسمعتُ قتيبة يقول : لولا الثوري لمات الورع ، ولولا أحمد بن حنبل لأحدثوا في الدين .

وقال أحمد بن سلمة : سمعت قتيبة يقول : أحمد بن حنبل إمام الدنيا .

وقال العباس بن الوليد البيروتي : حدثنا الحرثُ بن عباس قال : قلت لأبي مُسْهِر : هل تعرف أحداً يحفظ على هذه الأمة أمر دينها ؟ قال : لا أعلمه إلا شاب في ناحية المشرق ، يعني أحمد بن حنبل .

قال المزني : قال لي الشافعي : رأيت ببغداد شابًا إذا قال « حدثنا » قال الناس كلهم : صدق . قلت : من هو ؟ قال : أحمد بن حنبل .

وقال حرملة : سمعت الشافعي يقول : خرجت من بغداد فما خلفتُ بها رجلاً أفضلَ ولا أعلم ولا أفقه ولا أتقى من أحمد بن حنبل .

---

(١) أرطاة بن المنذر بن الأسود الألهاني الحمصي : تابعي ثقة حافظ فقيه ، قال محمد بن كثير . « ما رأيت أحداً أعبد ولا أزهد ولا الخوف عليه أبين منه » مات سنة ١٦٣ .

وقال الزعفراني : قال لي الشافعي : ما رأيت أعقل من أحمد بن حنبل وسليمان بن داود الهاشمي .

وقال محمد بن إسحق بن راهَوَيْه : سمعتُ أبي يقول : قال لي أحمد بن حنبل : تعالَ حتى أُرِيَكَ رجلاً لم تَرَ مثلَه، فذهب بي إلى الشافعي ، قال أبي : وما رأى الشافعيُ مثلَ أحمد بن حنبل ، ولولا أحمدُ وبَذلُ نفسه لما بذلها له لذَهَب الإسلامُ .

وعن إسحق قال : أحمد حجةٌ بين الله و بين خلقه .

وقال محمد بن عبدويه : سمعت عليّ بن المديني ، وذكَرَ أحمد بن حنبل ، فقال : هو أفضل عندي من سعيد بن جُبيرٍ في زمانه ، لأن سعيداً كان له نظراء ، وإن هذا ليس له نظير ، أو كما قال .

وقال عليّ بن المديني : إن الله أعز هذا الدين بأبي بكر الصديق يوم الرِّدَّة ، و بأحمد بن حنبل يوم المِحْنَة .

وقال أبو عبيد : انتهى العلم إلى أربعة : أحمد بن حنبل ، وهو أفقههم . وذكر الحكاية .

وقال محمد بن نصر الفرّاء : سمعتُ أبا عُبيد يقول : أحمد بن حنبل إمامُنا ، إني لأتزين بذكره .

وقال أبو بكر الأثرم عن أبي عبيد . ما رأيت رجلاً أعلم بالسنة من أحمد .

وقال أحمد بن الحسن الترمذي : سمعت الحسن بن الربيع يقول : ما شبهت أحمد بن حنبل إلا بابن المبارك في سَمْتِه وهيئته .

وقال الطبراني : حدثنا محمد بن الحسين الأنماطي قال : كنا في مجلس فيه يحيى بن معين وأبو خيثمة وجماعة ، فجعلوا يثنون على أحمد بن حنبل ، فقال رجل :

لا تكثروا ، بعضَ هذا ! فقال يحيى بن مَعين : وكثرة الثناء على أحمد تُستكثر ! لو جلسنا مجالسنا بالثناء عليه ما ذكرنا فضائله بكمالها .

وقال عباس عن ابن معين : ما رأيت مثل أحمد .

وقال أبو جعفر النُّفيلي : كان أحمد من أعلام الدين .

وقال المرُّوذي : حضرت أبا ثور سـئل عن مسئلة ، فقال : قال أبو عبد الله أحمد بن حنبل شيخنا وإمامنا فيها كذا وكذا .

وقال إبرهيم الحربي : قال ابن معين : ما رأيتُ أحداً يحدِّث لله إلا ثلاثة : يعلى بن عبيد ، والقَعْنَبي ، وأحمد بن حنبل .

وقال عباس الدُّوري : سمعت ابنَ معين يقول : أرادوا أن أكون مثل أحمد، والله لا أكون مثله أبداً .

وقال أبو خيثمة : ما رأيت مثل أحمد بن حنبل ولا أشدَّ قلباً منه .

وقال علي بن خشرم : سمعت بشر بن الحرث وسئل عن أحمد بن حنبل ، فقال : أنا أُسأل عن أحمد ؟ ! إن أحمد أُدخِلَ الكِيرَ فخرج ذهباً أحمرَ . رواها جماعة عن ابن خشرم .

وقال عبد الله بن أحمد بن حنبل : قال أصحاب بشر بن الحرث حين ضُرب أحمد في المحنة : يا أبا نصر ، لو أنك خرجت فقلت إني على قول أحمد بن حنبل ! فقال بشر : أتريدون أن أقوم مقام الأنبياء ! رُويت من وجهين عن بشر ، وزاد أحدهما : قال بشر : حفظ اللهُ أحمد من بين يديه ومن خلفه .

وقال القاسم بن محمد الصائغ سمعت المرُّوذِيَّ يقول : دخلت على ذي النون السجنَ ونحن بالعسكر ، فقال : أي شيء حال سيدنا ؟ يعني أحمد بن حنبل .

وقال إسحق بن أحمد سمعت أبا زرعة يقول : ما رأيت مثل أحمد بن حنبل في فنون العلم ، وما قام أحد مثل ما قام أحمد به .

وقال ابن أبي حاتم : قالوا لأبي زرعة : فإسحق بن راهويه ؟ قال أحمد بن حنبل أكبر من إسحق وأفقه ، قد رأيت الشيوخ ، فما رأيت أحداً أكمل منه ، اجتمع فيه زهد وفضل وفقه وأشياء كثيرة .

وقال ابن أبي حاتم : سألت أبي عن علي بن المديني ، وأحمد بن حنبل ، أيهما أحفظ ؟ فقال : كانا في الحفظ متقاربَيْن ، وكان أحمد أفقه . وقال أبي : إذا رأيت الرجل يحبّ أحمد فاعلم أنه صاحب سُنّة . وسمعت أبي يقول : رأيت قتيبة بمكة ، فقلت لأصحاب الحديث : كيف تغفلون عنه وقد رأيتُ أحمد بن حنبل في مجلسه ؟! فلما سمعوا هذا أخذوا نحوه وكتبوا عنه .

وقال محمد بن حماد الطهراني : سمعت أبا ثور يقول : أحمد بن حنبل أعلم أو أفقه من الثوري .

وقال محمد بن يحيى الذهلي : جعلت أحمد بن حنبل إماماً فيما بيني و بين الله .

وقال نصر بن علي الجهضمي : كان أحمد أفضل أهل زمانه .

وقال عمرو الناقد : إذا وافقني أحمد على حديث لا أبالي من خالفني .

وقال محمد بن مهران الجمال وذكر له أحمد بن حنبل ، فقال : ما بقي غيره .

وقال الخلال : حدثنا صالح بن علي الحلبي سمعت أبا همّام السَّكُوني يقول : ما رأيت مثل أحمد بن حنبل ولا رأى أحدٌ مثله .

وقال محمد بن إسحق بن خزيمة : سمعت محمد بن سختويه البرذَعي يقول : سمعت أبا عمير عيسى بن محمد الرملي ، وذكر أحمد بن حنبل ، فقال : رحمه الله ، عن الدنيا ما كان أصبره و بالماضين ما كان أشبهه ، و بالصالحين ما كان ألحقه ، عرَضت له الدنيا فأباها ، والبدعُ فنفاها .

وقال أبو حاتم الرازي : كان أبو عمير بن النحاس الرملي من عباد المسلمين ،

فقال لي : كتبت عن أحمد بن حنبل شيئاً ؟ قلت : نعم ، قال : فأمْلِ عليّ ، فأمليت عليه شيئاً .

وعن حجاج بن الشاعر قال : ما كنت أحب أن أقتل في سبيل الله ولم أصَلِّ على أحمد بن حنبل .

وعنه قال : قبّلتُ يوماً ما بين عيني أحمد بن حنبل ، وقلتُ : يا أبا عبد الله ، بلغتَ مبلغ سفيان ومالكٍ ، ولم أظنّ في نفسي أني بقّيت غايةً ، فبلغ والله في الإمامة أكثر من مبلغهما .

وعن حجاج بن الشاعر قال : ما رأيت عيناي روحاً في جسدٍ أفضل من أحمد بن حنبل .

وعن محمد بن نصر المَرْوَزِي قال : اجتمعتُ بأحمد بن حنبل وسألته عن مسائل ، وكان أكثر حديثاً من إسحق بن راهويه وأفقه منه .

وعن محمد بن إبرهيم البُوشَنْجي قال : ما رأيت أجمع في كل شيء من أحمد بن حنبل ولا أعقل .

وقال محمد بن مسلم بن وَارَة : كان أحمد صاحبَ فقه ، وصاحبَ حفظ ، وصاحبَ معرفة .

وقال أبو عبد الرحمن النَّسَائي : جمع أحمد بن حنبل المعرفة بالحديث والفقه ، والورعَ والزهد والصبر .

وقال خطّاب بن بشر عن عبد الوهاب بن الحكم الورّاق : لما قال النبي صلى الله عليه « فَرُدُّوه إلى عالمِه » رددناه إلى أحمد بن حنبل ، وكان أعلم أهل زمانه .

وقال أبو داود : كانت مجالس أحمد مجالسَ الآخرة ، لا يُذكر فيها شيء من أمر الدنيا ، ما رأيته ذَكَر الدنيا قطّ .

وقال صالح جزَرَةَ : أفقهُ من أدركتُ في الحديث أحمد بن حنبل .

وقال عبد الله بن أحمد عن أبيه ، وذُكر الشافعيُّ عنده ، فقال : ما استفاد منّا أكثرُ مما استفدنا منه . قال عبد الله : كل شيء ، في كتاب الشافعي « أخبرنا الثقة » فهو عن أبي .

وقال الخلّال : حدثنا أبو بكر المرُّوذي قال : قدم رجل من الزهاد ، فأدخلته على أبي عبد الله وعليه فرو خَلَقٌ وخريقةٌ على رأسه وهو حافٍ في بردٍ شديدٍ ، فسلم وقال : يا أبا عبد الله ، قد جئت من موضع بعيد ، وما أردتُ إلا السلام عليك ، وأريدُ عَبَّادَانَ ، وأريدُ إنْ أنا رجعت أن أمُرَّ بك وأسلِّمَ عليك ، فقال : إن قدِّر . فقام الرجل وأبو عبد الله قاعد ، قال المرُّوذي : ما رأيت أحداً قط قام من عند أبي عبد الله حتى يقوم أبو عبد الله إلا هذا الرجل ، فقال لي أبو عبد الله : ما ترى ، ما أشبهه بالأبدال ؟ ! أو قال : إني لأذكر به الأبدال ! فأخرج إليه أبو عبد الله أربعة أرغفة مشطورة بكامخ ، وقال : لو كان عندنا شيء لواسيناك .

قال الخلّال : وأخبرنا المرُّوذي : قلت لأبي عبد الله : ما أكثر الداعي لك ! قال : أخاف أن يكون هذا استدراجاً ، بأي شيء هذا ! وقلت لأبي عبد الله : إن رجلاً قدم من طرسوس فقال لي : إنا كنّا في بلاد الروم في الغزو إذا هدأ الليلُ رفعوا أصواتهم بالدعاء : ادعوا لأبي عبد الله ، وكنا نمدّ المنجنيق ونرمي عنه ، ولقد رمي عنه بحجر والعِلج على الحصن متقوس بدرقة ، فذهب برأسه وبالدَّرقة ، فتغيَّر وجهه ، وقال : ليته لا يكون استدراجاً ، فقلت : كلاّ .

قال الخلال : وأخبرني أحمد بن حسين قال : سمعت رجلاً من خراسان يقول : عندنا أحمد بن حنبل يُرَوْنَ أنه لا يُشبه البَشَر ، يظنون أنه من الملائكة . وقال لي رجل : نظرة عندنا من أحمد تعدل عبادة سنة .

قال الخلاّل : وقال المرُّوذي : رأيت بعض النصارى الأطباء قد خرج من عند

أبي عبد الله ومعه راهب ، فسمعت الطبيب يقول : إنه سألني أن يجيء معي حتى ينظر إلى أبي عبد الله .

وقال المرُّوذي : وأدخلتُ نصرانيًا على أبي عبد الله يعالجه ، فقال: يا أبا عبدالله ، إني لأشتهي أن أراك منذ سنين ، ما بقاؤك صلاح الإسلام وحدهم ، بل للخلق جميعاً ، وليس من أصحابنا أحد إلا رضي بك . قال المرُّوذي : فقلت لأبي عبد الله : إني لأرجو أن يكون يُدعَى لك في جميع الأمصار ، فقال : يا أبا بكر ، إذا عرَف الرجل نفسَه فما ينفعه كلام الناس .

وقال عبد الله بن أحمد : خرج أبي إلى طرسوس ماشياً ، وحج حجتين أو ثلاثاً ماشياً ، وكان أصبر الناس على الوحدة ، و بشرٌ فيما كان فيه لم يكن يصبر على الوحدة ، كان يخرج إلى ذا و إلى ذا .

وقال عباس الدُّوري : حدثني علي بن أبي فزارة جارُنا ، قال : كانت أمي مقعدةً من نحو عشرين سنة ، فقالت لي يوماً : اذهبْ إلى أحمد بن حنبل فسلْه أن يدعوَ لي ، فأتيتُ فدققت عليه وهو في دهليزه ، فلم يَفْتح لي ، وقال : من هذا ؟ قال : أنا رجل سألتني أمي وهي مقعدة أن أسألك أن تدعوَ الله لها ، فسمعت كلامَه كلامَ رجل مُغْضَب ، فقال : نحن أحوج إلى أن تدعو الله لنا ، فولَّيْتُ منصرفاً ، فخرجت عجوزٌ فقالت : إني قد تركتُه يدعو لها ، فجئت إلى بيتنا دققتُ الباب ، فخرجت أمي على رجليها تمشي ، وقالت : قد وهب الله لي العافية . رواها ثقتان عن عباس .

وقال عبد الله بن أحمد : كان أبي يصلي في كل يوم وليلة ثلاثمائة ركعة ، فلما مرض من تلك الأسواط أضعفته ، فكان يصلي كل يوم وليلة مائةً وخمسين ركعة .

وقال عبد الله بن أحمد : حدثنا علي بن الجهم قال : كان لنا جار فأخرج إلينا كتاباً ، فقال : أتعرفون هذا الخط ؟ قلنا : هذا خط أحمد بن حنبل ، فكيف كتب

لك ؟ قال : كنا بمكة مقيمين عند سفيان بن عُيينة ، ففقدنا أحمد أياماً ، ثم جئنا لنسأل عنه ، فإذا البابُ مردود عليه وعليه خلقان ، فقلتُ : ما خبرُك ؟ قال : سُرقت ثيابي ، فقلتُ له : معي دنانير ، فإن شئتَ صلةً وإن شئت قرضاً ، فأبى ، فقلت : تكتُب لي بأجرة ؟ قال : نعم ، فأخرجتُ ديناراً ، فقال : اشتر لي ثوباً واقطعه نصفين ، يعني إزاراً ورداء ، وجئني ببقية الدينار ، ففعلتُ وجئت بورق ، فكتب لي هذا .

وقال عبد الرزّاق : عرضت على أحمد بن حنبل دنانير فلم يأخذها .

وقال إسحق بن راهويه : كنت أنا وأحمد باليمن عند عبد الرزّاق ، وكنت أنا فوق الغرفة وهو أسفل ، وكنت إذا جئتُ إلى موضع اشتريت جارية ، قال : فاطّلعتُ على أن نفقته فنيتْ ، فعرضتُ عليه فامتنع ، فقلت : إن شئت قرضاً ، وإن شئت صلةً ، فأبى ، فنظرت فإذا هو ينسج التكك ويبيع وينفق . رواها أبو إسمعيل الترمذي عنه .

وعن أبي إسمعيل قال : أتى رجل بعشرة آلاف درهم من ربح تجارته إلى أحمد ؟ فأبى أن يقبلها .

وقال عبد الله عن أبيه قال : عرض عليَّ يزيد بن هرون نحو خمسمائة درهم فلم أقبلها . فقيل إن صيرفيًّا وصل أحمد بخمسمائة دينار فردها .

وقال صالح : دخلت على أبي أيامَ الواثق ، واللهُ يعلم كيف حالُنا ، فإذا تحت لبده ورقة فيها : يا أبا عبد الله ، بلغني ما أنت فيه من الضيق ، وقد وجهتُ إليك بأربعة آلاف درهم . فلما ردّ أبي من صلاته قلت : ما هذا ؟ فاحمر وجهه ، فقال : رفعتها منك ، ثم قال : تذهب بجوابه ، فكتب إلى الرجل : وصل كتابك ونحن في عافية ، فأما الدَّيْنُ فلرجل لا يُرهقنا ، وأما العيال فهم في نعمة الله ، فذهبتُ

بالكتاب ، فلما كان بعد حين ورد كتاب الرجل بمثل ذلك ، فامتنع ، فلما مضى نحو سنة ذكرناها ، فقال : لو أنا قبلناها كانت قد ذهبت .

وقال جماعة : حدثنا سلمة بن شبيب قال : كنا في أيام المعتصم عند أحمد بن حنبل ، فدخل رجل فقال : من منكم أحمد بن حنبل ؟ فسكتنا ، فقال أحمد : هأنذا ، قال : جئت من أربعمائة فرسخ برًّا وبحراً ، كنت ليلة جمعة نائماً فأتاني آت فقال لي : تعرف أحمد بن حنبل ؟ قلت : لا ، قال : فأت بغداد وسل عنه ، فإذا رأيته فقل : إن الخضر يقرئك السلام ويقول : إن ساكن السماء الذي على عرشه راض عنك ، والملائكة راضون عنك بما صفوتَ نفسكَ لله(١) .

فصل في آدابه

قال عبد الله بن أحمد : رأيت أبي يأخذ شعرةً من شعر النبي صلى الله عليه وسلم فيضعها على فمه يقبّلها ، وأحسبُ أني رأيته يضعها على عينه ويغمسها في الماء ويشربه يستشفي به ، ورأيته قد أخذ قصعة النبي صلى الله عليه وسلم فغسلها في جب الماء ثم شرب فيها ، ورأيته يشرب ماء زمزم يستشفي به ويمسحُ به يديه ووجهه .

وقال أحمد بن سعيد الدارمي : كتب إلى أحمد بن حنبل : لأبي جعفر أكرمه الله ، من أحمد بن حنبل .

وعن سعيد بن يعقوب قال : كتب أحمد : من أحمد بن محمد إلى سعيد بن يعقوب ، أما بعد ، فإن الدنيا داء ، والسلطان داء ، والعالم طبيب ، فإذا رأيتَ الطبيب يجر الداء إلى نفسه فاحذره ، والسلام عليك .

وقال عبد الله بن عبد الرحمن الذهبي : حدثني أبي قال : مضى عمي أبو إبرهيم أحمد بن سعد إلى أحمد بن حنبل فسلم عليه ، فلما رآه وثب قائماً وأكرمه .

---

(١) أي أخذت صفوتها . يقال « صفوت القدر » إذا أخذت صفوتها .

قال المرُّوذي : قال لي أحمد : ما كتبت حديثاً إلا وقد عملتُ به ، حتى مرّ بي أن النبي صلى الله عليه وسلم احتجم وأعطى أبا طَيْبَةَ ديناراً ، فأعطيتُ الحجّام ديناراً حين احتجمت .

وقال ابنُ أبي حاتم : ذكر عبدالله بن أبي عمر البكري قال : سمعت عبدالملك الميموني يقول : ما أعلمُ أني رأيتُ أحداً أنظفَ ثوباً ولا أشدَّ تعاهُداً لنفسه في شاربه وشعر رأسه وشعر بدنه ، ولا أنقى ثوباً وشدةَ بياضٍ من أحمد بن حنبل .

وقال الخلّال : أخبرني محمد بن الجنيد أن المرُّوذي حدثهم قال: كان أبو عبدالله لا يدخل الحمام ، وكان إذا احتاج إلى النورة تنوّر في البيت ، وأصلحتُ له غيرَ مرةٍ النورة ، واشتريتُ له جلداً ليده يُدخل يده فيه ويتنوّر .

وقال حنبل : رأيت أبا عبد الله إذا أراد القيام قال لجلسائه : إذا شئتم .

وقال المرُّوذي : رأيت أبا عبد الله قد ألقى لختّانٍ درهمين في الطست .

وقال موسى بن هرون : سئل أحمد بن حنبل فقيل له: أين يُطلب البُدَلاء ؟[1] فسكت حتى ظننا أنه لا يجيب ، ثم قال : إن لم يكن من أصحاب الحديث فلا أدري.

وقال المرُّوذي : كان الإمام أحمد إذا ذكر الموت خنقته العَبْرةُ ، وكان يقول: الخوفُ يمنعني أكل الطعام والشراب .

وقال : إذا ذُكر الموت هان علي كلُّ شيء من أمر الدنيا ، وإنما هو طعامٌ دونَ طعام ، ولباسٌ دون لباس ، وإنها أيام قلائل ، ما أَعْدِلُ بالفقر شيئاً .

وقال : لو وجدتُ السبيل لخرجت حتى لا يكون لي ذِكر .

وقال : أريد أن أكون في بعض تلك الشعاب بمكة حتى لا أُعْرَف ، قد بُليتُ بالشهرة ، إني لأتمنى الموت صباحاً ومساءً .

---

(١) يريد الأبدال ، ولم أر هذا الجمع « البدلاء » في غير هذا الموضع .

وقال المرّوذي : ذُكر لأحمد أن رجلاً يريد لقاءه ، فقال : أليس قد كره بعضهم اللقاء ، يتزيّن لي وأتزيّن له ؟ !

وقال : لقد استرحتُ، ما جاءني الفرجُ إلاّ منذ حلفتُ أن لا أحَدِّث ، وليتنا نُترَكُ ، الطريق ما كان عليه بشر بن الحرث .

وقال المرّوذي : قلت لأبي عبد الله : إن فلاناً قال لم يزهد أبو عبد الله في الدراهم وحدها ، قد زهِد في الناس ، فقال : ومن أنا حتى أزهد في الناس ؟! الناسُ يريدون أن يزهدوا فيّ .

وسمعت أبا عبد الله يكره للرجل أن ينام بعد العصر ، يخاف على عقله .

وسمعته يقول : لا يُفلح مَن تعاطى الكلام ، ولا يخلو من أن يتجهم .

وسئل عن القراءة بالألحان ، فقال : هذه بدعة ، لا تسمع ، وكان قد قارب الثمانين ، رحمه الله .

فصـــــل

في قوله في أصول الدين

قال أبو داود : سمعت أحمد بن حنبل يقول : الإيمان قول وعمل ، يزيد وينقص ، البرّ كله من الإيمان ، والمعاصي تنقص من الإيمان .

وقال إسحق بن إبرهيم البغوي : سمعت أحمد بن حنبل ، وسئل عمن يقول القرآن مخلوق ؟ فقال : كافر .

وقال سَلَمة بن شَبيب : سمعت أحمد يقول : من يقول القرآن مخلوق فهو كافر .

وقال أبو إسمعيل الترمذي : سمعت أحمد بن حنبل يقول : من قال القرآن مخلوق فهو كافر .

وقال إسماعيل بن الحسن السرّاج : سألت أحمد عمن يقول القرآن مخلوق ؟ فقال : كافر . وعمن يقول لفظي بالقرآن مخلوق ؟ فقال : جهميّ .

وقال صالح بن أحمد : تناهى إلى أبي أن أبا طالب يحكي أنه يقول لفظي بالقرآن غير مخلوق ، فأخبرت أبي بذلك ، فقال : من أخبرك ؟ قلت : فلان ، فقال : ابعث إلى أبي طالب ، فوجهت إليه ، فجاء وجاء فُوران ، فقال له أبي : أنا قلت لفظي بالقرآن غير مخلوق ؟ ! وغضب ، وجعل يرعد ، فقال : قرأت عليك (قل هو الله أحد) فقلت لي ليس هذا بمخلوق ، فقال : فلم حكيت عني أني قلت لك لفظي بالقرآن غير مخلوق ؟ ! و بلغني أنك وضعت ذلك في كتاب وكتبتَ به إلى قوم ، فامْحُه ، واكتبْ إلى القوم أني لم أقله لك ، فجعل فوران يعتذر إليه ، وانصرفَ من عنده وهو مرعوب ، فعاد أبو طالب فذكر أنه قد كان حَكّ ذلك من كتابه ، وأنه كتب إلى القوم يخبرهم أنه وهم على أبي .

قلتُ : الذي استقرّ عليه قول أبي عبد الله أن من قال لفظي بالقرآن مخلوق فهو جهمي ، ومن قال لفظي بالقرآن غير مخلوق فهو مبتدع .

وقال أحمد بن زنجويه : سمعت أحمد بن حنبل يقول : اللفظية شر من الجهمية .

وقال صالح بن أحمد : سمعت أبي يقول : افترقت الجهمية على ثلاث فرق : فرقة قالوا القرآن مخلوق ، وفرقة قالوا القرآن كلام الله تعالى وسكتوا ، وفرقة قالوا لفظنا بالقرآن مخلوق .

وقال أبي : لا يصلَّى خلف واقِفِيّ ولا خلف لفظيّ .

وقال المرُّوذي : أخبرتُ أبا عبد الله أن أبا شُعيب السُّوسِيّ الذي كان بالرّقة فرّق بين ابنته وزوجها لما وقف في القرآن ، فقال : أحسنَ عافاه الله ، وجعل يدعو له . وقد كان أبو شُعَيب شاور النُّفَيلي فأمره أن يفرق بينهما .

قال المرُّوذي : ولما أظهر يعقوب بن شيبة الوقف حذَّر أبو عبد الله عنه ، وأمر بهجرانه وهجران مَن كلّمه .

قلت : ولأبي عبد الله في مسألة اللفظ نصوص متعددة .

وأول من أظهر اللفظ الحسين بن علي الكرابيسي ، وذلك في سنة أربع وثلاثين ومائتين . وكان الكرابيسي من كبار الفقهاء .

وقال المرُّوذي في كتاب القصص : عزم حسن بن البزّار وأبو نصر بن عبد المجيد وغيرهما على أن يجيئوا بكتاب المدلّسين الذي وضعه الكرابيسي يطعن فيه على الأعمش وسليمان التيمي ، فمضيتُ إليه في سنة أربع وثلاثين فقلت : إن كتابك يريد قوم أن يعرضوه على أبي عبد الله ، فأظهرْ أنك قد ندمت عليه ، فقال : إن أبا عبد الله رجل صالح ، مثله يُوفَّق لإصابة الحق ، قد رضيتُ أن يُعرض عليه ، لقد سألني أبو ثور : أن أمحوَه ، فأبيت . فجيء بالكتاب إلى أبي عبد الله ، وهو لا يعلم لمن هو ، فعلّموا على مستبشعات من الكتاب ، وموضع فيه وَضْعٌ على الأعمش ، وفيه : إن زعمتم أن الحسن بن صالح كان يرى السيفَ فهذا ابن الزبير قد خرج . فقال أبو عبد الله : هذا أراد نصرة الحسن بن صالح فوضع على أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم : وقد جمع للروافض أحاديثَ في هذا الكتاب ، فقال أبو نصر : إن فتياننا يختلفون إلى صاحب هذا الكتاب ؟ فقال : حذروا عنه ، ثم انكشف أمرُه فبلغ الكرابيسي ، فبلغني أنه قال : سمعت حسيناً الصائغ يقول : لأقولن مقالةً حتى يقول أحمد بن حنبل بخلافها فيكفر ، فقال :[1] لفظي بالقرآن مخلوق ، فقلت لأبي عبد الله : إن الكرابيسي قال لفظي بالقرآن مخلوق ، وقال أيضاً : أقول إن القرآن كلام الله غير مخلوق من كل الجهات إلا أن لفظي بالقرآن مخلوق ، ومن لم يقل إن لفظي بالقرآن مخلوق فهو كافر ، فقال

---

(١) بهامش الأصل « يعني الكرابيسي »

أبو عبد الله : بل هو الكافر ، قاتله الله ، وأي شيء قالت الجهميةُ إلا هذا ؟! قالوا : كلام الله ، ثم قالوا : مخلوق ، وما ينفعه وقد نقض كلامُه الأخيرُ كلامَه الأول حين قال لفظي بالقرآن مخلوق ؟! ثم قال أحمد : ما كان الله ليدَعَه وهو يقصد إلى التابعين، مثل سليمان الأعمش وغيره ، يتكلم فيهم ، مات بشر المَرِيسي وخلَفه حسين الكرابيسي، ثم قال : أيش خبرُ أبي ثورٍ؟ وافقه على هذا ؟ قلت : قد هجره ، قال : قد أحسن، قلت : إني سألت أبا ثور عمن قال لفظي بالقرآن مخلوق ؟ قال : مبتدع ، فغضب أبو عبد الله ، وقال : أيش مبتدع ؟! هذا كلام جهل بعينه ، ليس يفلح أصحابُ الكلام .

وقال عبد الله بن أحمد : سئل أبي وأنا أسمع عن اللفظية والواقفية ؟ فقال : من كان منهم يحسن الكلام فهو جهمي .

فقال الحكم بن معبد : حدثني أحمد أبو عبد الله الدَّوْرَقي قال : قلتُ لأحمد بن حنبل : ما تقول في هؤلاء الذين يقولون لفظي بالقرآن مخلوق ؟ فرأيته استوى واجتمع وقال : هذا شرٌّ من قول الجهمية ، من زعم هذا فقد زعم أن جبريل تكلم بمخلوق وجاء إلى النبي صلى الله عليه بمخلوق !

وقال ابنُ أبي حاتم : حدثنا عبد الله بن محمد بن الفضل الأسدي سمعت أبا طالب أحمد بن موسى بن حميد قال : قلت لأحمد بن حنبل : قد جاءت جهمية رابعةٌ، فقال : ما هي ؟ قلت : قال إنسان من زعم أن في صدره القرآن فقد زعم أن في صدره من الإلهية شيء ! فقال : من قال هذا فقد قال مثل قول النصارى في عيسى أن كلمة الله فيه ! ما سمعت بمثل هذا قط ! قلت : أهذه الجهمية ؟ قال : أكبر من الجهمية ، ثم قال : قال النبي صلى الله عليه وسلم : يُنْزَع القرآن من صدوركم .

قلت : الملفوظ كلام الله ، وهو غير مخلوق ، والتلفظ مخلوق ، لأن التلفظ من كسب القارىء ، وهو الحركة والصوت وإخراج الحروف ، فإن ذلك مما أحدثه

القارئ ، ولم يُحدث حروفَ القرآن ولا معانيه ، إنما أحدثَ نطقَه به ، فاللفظ قدر مشترك بين هذا وهذا ، ولذلك لم يُجَوِّز الإمام أحمد « لفظي بالقرآن مخلوق » ولا « غير مخلوق » إذ كل واحد من الإطلاقين مُوهِمٌ . والله أعلم .

وقال أبو بكر الخلاّل : أخبرني أحمد بن محمد بن مطر وزكريا بن يحيى أن أبا طالب حدَّثهم أنه قال لأبي عبد الله : جاءني كتاب من طرسوس أن سَرِيًّا السَّقَطِيّ قال : لما خلق الله الحروف سجدت إلا الألفَ فإنه قال لا أسجد حتى أُومرَ ! فقال : هذا الكفر .

فرحم الله الإمام أحمد ، ما عنده في الدين محاباة .

قال الخلاّل : أنبأنا محمد بن أبي هرون أن إسحق بن إبرهيم حدثهم قال : حضرتُ رجلا سأل أبا عبد الله فقال : يا أبا عبد الله ، إجماعُ المسلمين على الإيمان بالقَدَر خيره وشرّه ؟ قال أبو عبد الله : نعم . قال : ولا تكفر أحداً بذنبٍ ؟ فقال أبو عبد الله : اسكت ، من ترك الصلاة فقد كفر ، ومن قال القرآن مخلوق فهو كافر .

وقال الخلاّل : أخبرني محمد بن سليمان الجوهري حدثنا عبدوس بن مالك العطار سمعت أحمد بن حنبل يقول : أصول السنة عندنا التمسكُ بما كان عليه الصحابةُ ، وتركُ البدع ، وترك الخصوماتِ والجلوسِ مع أصحاب الأهواء ، وتركُ المِرَاء والجدال ، وليس في السنة قياس ، ولا يُضرب لها الأمثال ، ولا تدرك بالعقول ، والقرآن كلام الله غير مخلوق ، وإنه من الله ليس ببائن منه ، وإياك ومناظرة مَن أحدث فيه ، ومن قال باللفظ وغيره ، ومن وقف فيه فقال لا أدري مخلوق أو ليس بمخلوق وإنما هو كلام الله فهو صاحب بدعة ، والإيمان بالرؤية يوم القيامة ، وأن النبي صلى الله عليه . رأى ربه ، فإنه مأثور عن رسول الله صلى الله عليه ، رواه قتادة والحكم بن أبان عن عكرمة عن ابن عباس ، ورواه علي بن زيد عن يوسف بن مهران عن ابن عباس ، والحديث عندنا على ظاهره ، على ما جاء عن النبي صلى الله عليه ،

والكلام فيه بدعة ، ولكن نؤمن به على ما جاء على ظاهره ، وأن الله يكلم العباد يوم القيامة ليس بينهم و بينه ترجمان .

قال حنبل ابن إسحق : قلت لأبي عبد الله : ما معنى قوله (وهو معكم) ، و (ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم) ؟ قال : عِلْمُهُ عِلْمُهُ . وسمعته يقول : ربنا تبارك وتعالى على العرش بلا حد ولا صفة .

قلت : معنى قوله بلا صفة ، أي بلا كيفية ولا وصف .

وقال أبو بكر المرُّوذي : حدثني محمد بن إبرهيم القيسي قال : قلتُ لأحمد بن حنبل : يحكى عن ابن المبارك أنه قيل له : كيف يعرف ربّنا ؟ قال : في السماء على عرشه ، قال أحمد : هكذا هو عندنا .

وقال صالح بن أحمد بن حنبل : سمعت أبي يقول : من زعم أن أسماء الله مخلوقة فقد كفر .

وقال عبد الله بن أحمد في كتاب الردّ على الجهمية تاليفه : سألت أبي عن قوم يقولون لما كلم الله موسى لم يتكلّم بصوت ؟ فقال أبي : بلى ، تكلّم جل ثناؤه بصوت ، هذه الأحاديث نرويها كما جاءت . وقال أبي : حديث ابن مسعود « إذا تكلم اللهُ سُمع له صوتٌ كمَرّ السلسلة على الصّفوانِ » قال : وهذه الجهمية تنكره ، وهؤلاء كفار ، يريدون أن يموهوا على الناس ، ثم قال : حدثنا المحاربي عن الأعمش عن مسلم عن مسروق عن عبد الله قال : إذا تكلم الله بالوحي سمع صوته أهلُ السماء فيخرون سُجداً .

وقال عبد الله : وجدت بخط أبي : مما يُحتج به على الجهمية من القرآن (إنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن) (إن الله يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وكلمته) (وتمت كلماتُ ربك صدقاً وعدلاً لا مبدل لكلماته)[1]

(١) قراءة حفص وبعض القراء « كلمة ربك » بالإفراد ، وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وغيرهما (كلمات ربك) بالجمع . انظر النشر ٢ : ٢٥٢ .

(ياموسى إنه أنا الله العزيز الحكيم) (ألا له الخلق والأمر) (كل شيء هالك إلا وجهه) (ويبقى وجه ربك) (ولتُصنَع على عيني) (وكلم الله موسى تكليماً) (ياموسى إني أنا ربك) (والأرض جميعاً قبضتُه يوم القيامة والسموات مطويَّات بيمينه) (وقالت اليهود يد الله مغلولة ، غُلَّت أيديهم ولعنوا بما قالوا ، بل يداه مبسوطتان) .

قلت : وذكر آياتٍ كثيرة في الصفات ، أنا تركت كتابتها هنا .

وقال يعقوب بن إسحق المطوِّعي : سمعت أحمد بن حنبل وسئل عن التفضيل ؟ فقال : على حديث ابن عمر رضي الله عنهما : أبو بكر وعمر وعثمان .

وقال صالح بن أحمد : سئل أبي وأنا شاهد عمن يقدم علياً على عثمان ، يُبَدَّع ؟ فقال : هذا أهل أن يُبدَّع ، أصحاب رسول الله صلى الله عليه قدَّموا عثمانَ .

وقال عبد الله بن أحمد : قلت لأبي مَن الرافضي ؟ قال : الذي يشتم رجلاً من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أو يتعرض لهم ، ما أراه على الإسلام .

وقال أبو بكر المرُّوذِي : قيل لأبي عبد الله ونحن بالعسكر وقد جاء بعض رسل الخليفة فقال : يا أبا عبد الله ، ما تقول فيما كان بين عليّ ومعاوية ؟ فقال : ما أقول فيهم إلا الحسنى .

* * *

وكلام الإمام أحمد كثير طيب في أصول الديانة ، لا يتسع هذا الكتاب لسياقه ، قد جمعه الخلّال في مصنَّف سماه (كتاب السنة عن أحمد بن حنبل) في ثلاث مجلدات .

فما فيه : أخبرنا المرُّوذِي سمعت أبا عبد الله يقول : من تعاطى الكلام لا يفلح ، من تعاطى الكلام لم يَخلُ من أن يتجهم .

وسمعت أبا عبد الله يقول : لست أتكلم إلا ما كان من كتابٍ أو سنةٍ أو عن الصحابة والتابعين ، وأما غير ذلك فالكلام فيه غير محمود .

وقال حنبل : سمعت أبا عبد الله يقول : من أحب الكلام لم يفلح ، لا يؤول أمرهم إلى خير . وسمعته يقول : عليكم بالسنة والحديث ، وإياكم والخوض والجدال والمراء ، فإنه لا يفلح من أحبّ الكلام . وقال لي : لا تجالسهم ولا تكلم أحداً منهم . ثم قال : أدركنا الناس وما يعرفون هذا ، ويجانبون أهلَ الكلام . وسمعته يقول : ما رأيت أحداً طلب الكلام واشتهاه فأفلح ، لأنه يخرجه إلى أمر عظيم ، لقد تكلموا يومئذ بكلام واحتجوا بشيء فما يقوى قلبي ولا ينطلق لساني أن أحكيَه .

قال الخلال : أخبرني محمد بن أبي هرون حدثنا أبو الحرث : سمعت أبا عبد الله يقول : قال أيوب : إذا تمرّق أحدهم لم يَعُدْ .

وقال الخلال : أخبرنا أحمد بن أصرم المزني قال : حضرت أحمد بن حنبل قال له العباس الهمداني : إني ربما رددت عليهم ، قال أحمد : لا ينبغي الجدال . ودخل أحمد المسجد وصلّى ، فلما انفتل قال : أنت عباس ؟ قال : نعم ، قال : اتق الله ، ولا ينبغي أن تنصب نفسك وتشتهر بالكلام ولا بوضع الكتب ، لو كان هذا خيراً لتقدمنا فيه الصحابة، ولم أر شيئاً من هذه الكتب ، وهذه كلها بدعة . قال : مقبول منك يا أبا عبد الله ، أستغفر الله وأتوب إليه ، إني لست أطلبهم ولا أدقّ أبوابهم ، ولكن أسمعهم يتكلمون بالكلام وليس أحد يردّ عليهم فأغتمّ ولا أصبر حتى أردّ عليهم، قال : إن جاءك مسترشد فأرشده ، قالها مراراً .

قال الخلال : أخبرنا محمد بن أبي هرون ومحمد بن جعفر أن أبا الحرث حدثهم قال : سألت أبا عبد الله ، قلت : إن ههنا من يناظر الجهمية ويبيّن خطأهم ويُدقّق عليهم المسائل ، فما ترى ؟ قال : لست أرى الكلام في شيء من هذه الأهواء ، ولا أرى لأحد أن يناظرهم ، أليس قال معاوية بن قُرّة : الخصومات تحبط الأعمال ؟ والكلام رديء ، لا يدعو إلى خير ، تجنبوا أهل الجدال والكلام ، وعليك بالسنن وما كان عليه أهل العلم قبلكم ، فإنهم كانوا يكرهون الكلام والخوض مع أهل

البدع ، وإنما السلامة في ترك هذا ، لم نؤمر بالجدال والخصومات . وقال : إذا رأيتم ن يحب الكلام فاحذروه .

قال ابن أبي داود : حدثنا موسى أبو عمران الأصبهاني سمعت أحمد بن حنبل يقول : لا تجالس أصحاب الكلام وإن ذبّوا عن السنة .

وقال الميموني : سمعت أحمد بن حنبل يقول : ما زال الكلام عند أهل الخير مذموماً .

قلت : ذمُّ الكلام وتعلمه قد جاء من طرق كثيرة عن الإمام أحمد وغيره .

فصل من سيرته

قال الخلال : قلتُ لزُهير بن صالح بن أحمد : هل رأيت جدك ؟ قال : نعم ، مات وقد دخلتُ في عشر سنين . كنا ندخل إليه في كل يوم جمعة أنا وأخواتي ، وكان بيننا وبينه باب ، وكان يكتب لكل واحد منا حبتين حبتين من فضة في رقعة إلى فامي ّ يعامله ، فنأخذ منه الحبتين وتأخذ الأخوات ، وكان ربما مررتُ به وهو قاعد في الشمس وظهره مكشوف وأثر الضرب في ظهره ، وكان لي أخ أصغر منّي اسمه « علي » فأراد أبي أن يختنه ، فاتخذ له طعاماً كثيراً ، ودعا قوماً ، فلما أراد أن يختنه وجّه إليه جدّي فقال : إنه بلغني ما أحدثته لهذا الأمر ، وقد بلغني أنك أسرفت ، فابدأ بالفقراء والضعفاء فأطعمهم . فلما أن كان من الغد وحضر الحجّامُ وحضر أهلُنا ، فجاء جدي حتى جلس في الموضع الذي فيه الصبي ، وأخرج صُرَيرَةً فدفعها إلى الحجام ، وصُرَيرَةً دفعها إلى الصبي ، وقام فدخل منزله ، فنظر الحجام في الصريرة فإذا درهم واحد ، وكنا قد رفعنا كثيراً مما افترش ، وكان الصبي على مصطبة مرتفعة على شيء من الثياب الملونة ، فلم ينكر ذلك . وقدم علينا من خراسان ابنُ خالةِ جدّي ، فنزل على أبي ، وكان يُكنى بأبي أحمد ، فدخلت معه إلى جدي ، فجاءت الجارية

بطبق خِلافٍ وعليه خبز وبقل وخلّ وملح ، ثم جاءت بغضارة فوضعتها بين أيدينا ، فيها مصليّة فيها لحم وسلقَ كثير ، فجعلنا نأكل وهو يأكل معنا ، ويسأل أبا أحمد عمن بقي من أهلهم بخراسان في خلال ما يأكل ، فربما استعجم الشيءُ على أبي أحمد فيكلمه جدي بالفارسية ، ويضع القطعة اللحم بين يديه وبين يديّ ، ثم رفع الغضارة بيده فوضعها ناحية ، ثم أخذ طبقاً إلى جنبه فوضعه بين أيدينا ، فإذا تمر بري وجوز مكسَّر ، وجعل يأكل ، وفي خلال ذلك يناول أبا أحمد .

وقال عبد الملك الميموني : كثيراً ما كنت أسأل أبا عبد الله عن الشيءِ ، فيقول : لبَّيكَ لبَّيكَ .

وعن المرُّوذي قال : لم أر الفقير في مجلس أعزَّ منه في مجلس أبي عبد الله ، كان مائلاً إليهم مقصراً عن أهل الدنيا ، وكان فيه حلم ، ولم يكن بالعجول، وكان كثير التواضع ، تعلوه السكينة والوقار ، إذا جلس في مجلسه بعد العصر للفتيا لا يتكلم حتى يُسأل ، وإذا خرج إلى مسجده لم يتصدَّرْ ، يقعدُ حيث انتهى به المجلس .

وقال الطبراني : حدثنا موسى بن هرون سمعت إسحق بن راهويه يقول : لما خرج أحمد بن حنبل إلى عبد الرزاق انقطعت به النفقة ، فأكْرَى نفسَه من حمَّالين إلى أن جاء صنعاء ، وعرض عليه أصحابه المواساة فلم يقبل .

قال الفقيه عليّ بن محمد عمر الرازي : سمعت أبا عمر غلام ثعلب سمعت أبا القاسم بن بشار الأنماطي المزنيّ سمعت الشافعيّ يقول : رأيت ببغداد ثلاث أعجوبات : رأيت بها نبطياً يتنحّى عليّ حتى كأنه عربي وكأني نبطي ! ورأيت أعرابياً يلحن حتى كأنه نبطي ! ورأيت شاباً وخطه الشيب فإذا قال حدثنا قال الناسَ كلهم : صدق . قال المزنيّ : فسألته ، فقال : الأول الزعفراني، والثاني أبوثور الكلبي ، وكان لحاناً ، وأما الشابّ فأحمد بن حنبل .

وقال عبد الله بن أحمد بن حنبل : رأيت أبي حَرَّج على النَّمل أن يخرج النمل

من داره ، ثم رأيت النمل قد خرجن بعد ذلك ، نملاً سوداً ، فلم أرهم بعد ذلك ، رواها أحمد بن محمد التنباني عنه .

قال أبو الفرج بن الجوزي : لما وقع الغرق سنة أربع وخمسين وخمسمائة غرقت كتبي وسلم لي مجلد فيه ورقتان بخط الإمام أحمد .

* * *

ومن نهي أبي عبد الله عن الكلام : قال المرُّوذي : أخبرت قبل موت أبي عبد الله بسنتين أن رجلاً كتب كتاباً إلى أبي عبد الله يشاوره في أن يضع كتاباً يشرح فيه الردّ على أهل البدع ، فكتب إليه أبو عبد الله ، قال الخلال : وأخبرني علي بن عيسى أن حنبلاً حدثهم قال : كتب رجل إلى أبي عبد الله ، قال : وأخبرني محمد بن عليّ الوراق حدثنا صالح بن أحمد قال : كتب رجل إلى أبي يسأل عن مناظرة أهل الكلام والجلوس معهم ؟ فأملى عليّ أبي جوابَ كتابه :

أحسن الله عاقبتك ، الذي كنا نسمع وأدركنا عليه من أدركنا أنهم كانوا يكرهون الكلام والجلوسَ مع أهل الزيغ ، وإنما الأمر في التسليم والانتهاء إلى ما في كتاب الله ، لا تَعْدُ ذلك ، ولم يَزَل الناسُ يكرهون كل مُحْدَث ، من وضع كتاب وجلوس مع مبتدع ليورد عليه بعضَ ما يُلْبِس عليه في دينه .

وقال المرُّوذي : بلغني أن أبا عبد الله أنكر على وليد الكرابيسي مناظرتَه لأهل البدع .

وقال المرُّوذي : قلت لأبي عبد الله : قد جاؤوا بكلام فلان ليُعرض عليك ، وأعطيته الرقعة ، فكان فيها : والإيمان يزيد وينقص فهو مخلوق ، وإنما قلت إنه مخلوق على الحركة والفعل لا على القول ، فمن قال الإيمان مخلوق وأراد القول فهو كافر . فلما قرأها أحمد وانتهى إلى قوله « الحركة والفعل » غضب ورمى بها ، فقال :

هذا مثل قول الكرابيسي ، إنما أراد الحركات مخلوقة ، إذا قال الإيمان مخلوق فأي شيء بقي ؟ ليس يفلح أصحاب الكلام .

قلت : إنما حط عليه أحمد بن حنبل لكونه خاض ودقق وقسّم ، وفي هذا عبرة وزاجر ، والله أعلم . فقد زجر الإمام أحمد كما ترى في قصة الرقة التي في الإيمان، وهي والله بحث صحيح وتقسيم مليح ، و بعد هذا فقد ذم من أطلق الخلق على الإيمان باعتبار قول العبد لا باعتبار مَقُوله ، لأن ذلك نوع من الكلام ، وهو كان يذم الكلام وأهله و إن أصابوا ، و ينهى عن تدقيق النظر في أسماء الله وصفاته ، مع أن محمد بن نصر المَرْوَزِيّ قد سمع إسحق بن راهويه يقول : خلق الله الإيمانَ والكفرَ والخيرَ والشرَّ .

فصـــــل

في زوجاته وأولاده

قال زهير بن صالح بن أحمد : تزوج جدي بأمّ أبي عبأسةَ بنت الفضل[1] ، من العرب من الربض[2] ، لم يولد له منها غير أبي ، ثم ماتت .

قال المرُّوذي سمعت أبا عبد الله يقول : أقامت معي ، أم صالح ثلاثين سنة فما اختلفت أنا وهي في كلمة .

وقال زهير : لما ماتت عبّاسة تزوج جدّي بعدها امرأة من العرب يقال لها ريحانة ، فولدت له عبدَ الله وحده .

---

(١) في ابن الجوزي ٢٩٨ « عائشة » وذكر مصححه بالهامش أن في النسخة الأخرى في جميع المواضع « عباسة » فما هنا يرجح تلك النسخة الأخرى .

(٢) « الربض » بفتح الراء والباء : الفضاء يكون حول المدن . فلعله يريد من ضواحي بغداد .

وقال أبو بكر الخلاّل : حدثنا أحمد بن محمد بن خلف البَرَاثي[١] أخبرني أحمد بن عبثر قال : لما ماتت أم صالح قال أحمد لامرأة عندهم : اذهبي إلى فلانة ابنة عمي فاخطبيها لي من نفسها ، قالت : فأتيتها فأجابته ، فلما رجعت إليه قال : كانت أختها تسمع كلامك ؟ قال : وكانت بعين واحدة ، فقالت له : نعم ، قال : فاذهبي فاخطبي تلك التي بعينٍ واحدة ، فأتتها فأجابته ، وهي أم عبد الله ابنه ، فأقام معها سبعاً ، ثم قالت له : كيف رأيت يا ابن عمي ؟ أنكرتَ شيئاً ؟ قال : لا ، إلا أن نعلك هذه تَصِرّ[٢] .

فيما تقدم وهم ، من أن أحمد رحمه الله تزوج بهذه بعد موت أم صالح ، وذلك لا يستقيم ، لأن عبد الله وُلد لأحمد ولأحمد خمسون سنة غير أشهرٍ ، وكان صالح أكبر من عبد الله بسنواتٍ ، لأنه سمع من عفّان وأبي الوليد ، وذكر أبو يعقوب المرويّ وغيره أن صالحاً وُلد سنة ثلاث ومائتين ولأبيه إذ ذاك تسع وثلاثون سنة ، فصالح أكبر من عبد الله بعشرين سنة . والله أعلم .

وقال الخلاّل : حدثني محمد بن العباس حدثنا محمد بن علي حدثني أبو بكر بن يحيي قال : قال أبو يوسف بن بختان : لما أمرنا أبو عبد الله أن نشتري له الجارية ، مضيت أنا وفوران ، فتبعني أبو عبد الله ، فقال لي : يا أبا يوسف ويكون لها لحم .

قال زهير بن صالح : لما توفيت أم عبد الله اشترى « حُسْنَ » فولدت منه زينب ثم الحسنَ والحسينَ توأماً[٣] ، وماتا بالقرب من ولادتهما ، ثم ولدت الحسنَ

---

(١) « البراثي » بفتح الباء والراء وبالثاء المثلثة ، نسبة الى « براث » وهو موضع ببغداد .

(٢) في ابن الجوزي ٢٩٩ أن هذه الزوجة اسمها « ريحانة » ولها أخ اسمه « محمد بن ريحان » .

(٣) قال ابن سيدة : « يقال للذكر توأم ، وللأنثى توأمة ، فإذا جمعوها قالوا : هما توأمان ، وهما توأم » .

ومحمداً ، فعاشا ثَمَّ ، حتى صارا من السن إلى نحو من الأربعين سنةً ، ثم ولدت ، بعدهما سعيداً .

قال الخلاّل : وحدثنا محمد بن علي بن بحر سمعتَ حُسْنَ أمَّ وَلد أبي عبد الله تقول : قلتُ لمولاي : يا مولاي ، أصرف فرد خلخالي ؟ قال : وتطيب نفسكِ ؟ قلت : نعم ، قال : الحمد لله الذي وفقك لهذا ، قالت : فأعطيته أبا الحسن بن صالح فباعه بثمانية دنانير ونصف ، وفرّقها وقت حملي ، فلما ولدت حسناً أعطى مولاي كرّامة درهماً ، وهي امرأة كبيرة كانت تخدمهم ، وقال لها : اذهبي إلى ابن شجاع القصّاب يشتري لك بهذا رأساً ، فاشترى لنا رأساً وجاءت به ، فأكلنا ، فقال لي يا حسنُ ، ما أملك غيرَ هذا الدرهم ، ومالكِ عندي غير هذا اليوم ، قالت : وكان إذا لم يكن عند مولاي شيء فرِح يومَه ذلك ، فدخل يوماً فقال لي : أريد أن أحتجم اليومَ ، وليس معه شيء ، فجئت إلى جَرّةٍ لي فيها غزل فبعتُه بأربعة دراهم ، فاشتريتُ لحماً بنصف درهم ، وأعطى الحجامَ درهماً ، واشتريتُ طيباً بدرهم ، ولما خرج إلى سُرَّ مَن رأى كنتُ قد غزلتُ غزلاً ليناً وعملتُ ثوباً حسناً ، فلما قدم أخرجته إليه ، قال : ما أريده ، فدفعته إلى فُوران فباعه باثنين وأربعين درهماً ، واشتريت منه قطناً فغزلته ثوباً كبيراً ، فلما أعلمته قال : لا تقطعيه ، دَعيه ، فكان كفنَه ، كُفِنَ فيه ، وأخرجتُ الغليظ فقطعه .

وعن أحمد بن جعفر بن المنادي : أن أبا عبد الله اشترى جارية بثمن يسير ، سماها ريحانة ، ليتسرى بها .

. لم يتابع ابنُ المنادى على هذا .

قال حنبل : ولد سعيد قبل موت أحمد بنحو من خمسين يوماً .

وقال بعض الناس : ولي سعيد قضاء الكوفة ، ومات سنة ثلاث وثلاثمائة .

وهذا لا يصح ، فإن سعيداً وُلد قبل موت أبيه ، ومات قبل موت أخيه عبد الله بدهر ، لأن إبرهيم الحربيّ عزى عبد الله بأخيه سعيد .

وأما الحسن ومحمد قال ابن الجوزي : فلم نعرف من أخبارهما شيئاً .

وأما زينب فكبرتْ وتزوجت .

وله بنت اسمها فاطمة ، إن صح ذلك .

ذكر المحنة

ما زال المسلمون على قانون السلف ، من أن القرآن كلام الله تعالى ووحيه وتنزيله غير مخلوق ، حتى نبغت المعتزلة والجهمية ، فقالوا بخلق القرآن ، متسترين بذلك في دولة الرشيد .

فروى أحمد بن إبرهيم الدَّوْرقي عن محمد بن نوح : أن هرون الرشيد قال : بلغني أن بشر بن غياث يقول : القرآن مخلوق ، لله عليّ إن أظفرني به لأقتلنه . قال الدورقي : وكان بشر متوارياً أيام الرشيد ، فلما مات ظهر بشر ودعا إلى الضلالة .

قلت : ثم إن المأمون نظر في الكلام ، وباحث المعتزلة ، وبقي يقدم رجلاً ويؤخر أخرى في دعاء الناس إلى القول بخلق القرآن ، إلى أن قوي عزمه على ذلك في السنة التي مات فيها ، كما سنقصه .

قال صالح بن أحمد بن حنبل : حُمِل أبي ومحمد بن نوح مقيَّدَيْن ، فصرنا معهما إلى الأنبار ، فسأل أبو بكر الأحولُ أبي ، فقال : يا أبا عبد الله ، إن عُرِضتَ على السيف تجيب ؟ قال : لا . ثم سُيِّرا ، فسمعت أبي يقول : صرنا إلى الرحبة ورحلنا منها ، وذلك في جوف الليل ، فعرض لنا رجل ، فقال : أيكم أحمد بن حنبل ؟ فقيل له : هذا ، فقال للجمّال : على رِسْلِك ، ثم قال : يا هذا ، ما عليك أن تُقتل

ههنا وتدخل الجنة ، ثم قال : أستودعك الله ، ومضى . قال أبي : فسألت عنه ، فقيل لي : هذا رجل من العرب من ربيعة ، يعمل الشعر في البادية ، يقال له جابر بن عامر ، يُذكَر بخير .

وروى أحمد بن أبي الحواري : حدثنا إبرهيم بن عبدالله قال : قال أحمد بن حنبل : ما سمعت كلمة منذ وقعت في هذا الأمر أقوى من كلمة أعرابيٍّ كلمني بها في رَحْبة طوق ، قال : يا أحمد إن يقتلك الحق مت شهيداً ، وإن عشت عشت حميداً ، فقوي قلبي .

قال صالح بن أحمد : قال أبي : صرنا إلى أَذَنَة[1] ، ورحلنا منها في جوف الليل ، وفتح لنا بابها ، فإذا رجل قد دخل ، فقال : البشرى ! قد مات الرجل ، يعني المأمون ، قال أبي : وكنت أدعو الله أن لا أراه .

وقال محمد بن إبرهيم البُوشَنْجي : سمعت أحمد بن حنبل يقول : تبيَّنتُ الإجابة في دعوتين : دعوتُ الله أن لا يجمع بيني و بين المأمون ، ودعوته أن لا أرى المتوكل ، فلم أر المأمون ، مات بالبَذَنْدُون[2] ، وهو نهر الروم ، وأحمد محبوس بالرَّقَّة ، حتى بويع المعتصم بالروم ، ورجع فردَّ أحمد إلى بغداد ، وأما المتوكل فإنه لما أحضر أحمدَ دارَ الخلافة ليحدِّث ولدَه ، قعد له المتوكل في خوخة ، حتى نظر إلى أحمد ولم يره أحمد .

قال صالح : لما صدر أبي ومحمد بن نوح إلى طرسوس رُدَّا في أقيادهما ، فلما صارا إلى الرقة حُملا في سفينة ، فلما وصلا إلى عانات توفي محمد ، فأطلق عنه قيدُه ، وصلى عليه أبي .

---

(١) أذنة ، بفتحات : بلد قرب المصيصة ، بنيت سنة ١٤١ بأمر صالح بن علي بن عبد الله بن عباس .

(٢) البذندون ، بفتح الباء والذال المعجمة وسكون النون بعدها دال مهملة : في ياقوت أنها « قرية بينها وبين طرسوس يوم ، من بلاد الثغر ، مات بها المأمون فنقل إلى طرسوس » . فلعلها سميت باسم نهر بجوارها .

وقال حنبل : قال أبو عبد الله : ما رأيت أحداً على حداثة سنّه وقدر علمه أقومَ بأمر الله من محمد بن نوح ، وإني لأرجو أن يكون قد خُتم له بخير ، قال لي ذات يوم : يا أبا عبد الله ، اللهَ اللهَ ، إنك لست مثلي ، إنك رجل يُقتدَى بك ، قدّمَتِ الخلقُ أعناقَهم إليك لما يكون منك ، فاتق الله واثبُتْ لأمر الله ، أو نحو هذا ، فمات وصليت عليه ودفنته ، أظنه قال : بعانة[1] .

قال لي صالح : وصار أبي إلى بغداد مقيداً ، فمكث بالياسرية أياماً ، ثم حُبس في دار اكتريت عند دار عمارة ، ثم نقل بعد ذلك إلى حبس العامة في درب الموصلية ، فقال أبي : كنت أصلي بأهل السجن وأنا مقيد ، فلما كان في رمضان سنة تسع عشرة حوِّلتُ إلى دار إسحق بن إبرهيم .

وأما حنبل بن إسحق فقال : حبس أبو عبد الله في دار عمارة ببغداد في إصطبل لمحمد بن إبرهيم أخو إسحق بن إبرهيم ، وكان في حبس ضيق ، ومرض في رمضان ، فحبس في ذلك الحبس قليلاً ، ثم حُوّل إلى سجن العامة ، فمكث في السجن نحواً من ثلاثين شهراً ، فكنا نأتيه ، وقرأ عليّ كتاب الإرجاء وغيره في الحبس ، فرأيته يصلي بأهل الحبس وعليه القيد ، فكان يخرج رجله من حلقة القيد وقت الصلاة والنوم .

رجعنا إلى ما حكاه صالح بن أحمد عن أبيه لما حُوّل إلى دار إسحق بن إبرهيم : فكان يوجّه إليّ كل يوم برجلين ، أحدهما يقال له أحمد بن رَباح ، والآخر أبو شُعيب الحجام ، فلا يزالان يناظراني ، حتى إذا أرادا الانصراف دُعي بقيد فزيد في قيودي . قال : فصار في رجله أربعة أقياد . قال أبي : فلما كان في اليوم الثالث دخل عليّ أحد الرجلين فناظرني ، فقلت له : ما تقول في علم الله ؟ قال :

---

(١) عانة : سبق قبل أسطر تسميتها (عانات) في معجم البلدان : (عانة) بلد مشهور بين الرقة وهيت ، يعد في أعمال الجزيرة ، وجاء في الشعر عانات ، كأنه جمع بما حوله .

علمُ الله مخلوق ، فقلت له : كفرت[1] ، فقال الرسول الذي كان يحضر من قبل إسحق بن إبرهيم : إن هذا رسول أمير المؤمنين ، فقلت له : إن هذا قد كفر ، فلما كان في الليلة الرابعة وجّه ، يعني المعتصم ، ببُغَا الذي كان يقال له الكبير، إلى إسحق فأمره بحملي إليه ، فأدخلت على إسحق ، فقال : يا أحمد ، إنها والله نفسُك ، إنه لايقتلك بالسيف ، إنه قد آلى إن لم تجبه أن يضربك ضرباً بعد ضرب ، وأن يقتلك في موضع لا تُرى فيه شمسٌ ولا قمر ، أليس قد قال الله عز وجل : (إنا جعلناه قرآناً عربيًّا) أفيكون مجعولاً إلاّ مخلوقاً ؟ فقلت : قد قال الله تعالى (فجعلهم كعصف مأكول) أفخَلَقهم ؟ قال : فسكت ، فلما صرنا إلى الموضع المعروف بباب البستان أخرجت ، وجيء بدابة فحُملتُ عليها وعليّ الأقياد ، مامعي أحد يمسكني ، فكدت غير مرةٍ أن أخرّ على وجهي لثقل القيود ، فجيء بي إلى دار المعتصم ، فأدخلت حجرةً وأُدخلت إلى بيتٍ ، وأُقفل الباب عليّ ، وذلك في جوف الليل ، وليس في البيت سراج ، فأردتُ أن أتمسح للصلاة ، فمددت يدي ، فإذا أنا بإناء فيه ماء وطَسْتٌ موضوع ، فتوضأت وصليت ، فلما كان من الغد أخرجت تِكتي من سراويلي وشدَدْتُ بها الأقياد أحملها ، وعطفت سراويلي ، فجاء رسول المعتصم فقال : أجب ، فأخذ بيدي وأدخلني عليه والتكة في يدي أحمل بها الأقياد ، وإذا هو جالس وابنُ أبي دُؤادٍ حاضر ، وقد جمع خلقاً كثيراً من أصحابه ، فقال لي ، يعني المعتصم : ادْنُهْ ، ادْنُهْ ، فلم يزل يدنيني حتى قربت منه ، ثم قال لي : اجلس فجلست ، وقد أثقلتني الأقياد ، فمكثت قليلاً ، ثم قلت : أتأذنُ لي في الكلام ؟ فقال : تكلم ، فقلت : إلى ما دعا اللهُ ورسولُه[2] ؟ فسكتَ هنيهةً ، ثم قال : إلى

---

(١) هنا بهامش الأصل ما نصه : « إنما كفره لأنه إذا كان علم الله مخلوقاً لزم أن يكون في الأزل بغير علم حتى خلقه . تعالى الله عما يقول الظالمون علوًّا كبيراً » . وهذا حق بديهي معلوم من الدين بالضرورة .

(٢) انظر لإثبات ألف « ما » مع حرف الجر ، ما قلناه في شرح الحديث الآتي في المسند ٣١٧ .

شهادة أن لا إله إلاّ الله ، فقلت : فأنا أشهد أن لا إله إلا الله ، ثم قلت : إن جدك ابن عباس يقول : « لما قدم وفد عبد القيس على رسول الله صلى الله عليه وسلم سألوه عن الإيمان ، فقال : أتدرون ما الإيمان ؟ قالوا : الله ورسوله أعلم ، قال : شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، وإقامُ الصلاة ، و إيتاء الزكاة ، وأن تعطوا الخُمُسَ من المغنم »[1] ، قال : أبي قال ، يعني المعتصم : لولا أني وجدتك في يد من كان قبلي ما عرضتُ لك .

ثم قال : ياعبد الرحمن بن إسحق ، ألم آمُرْكَ برفع المحنة ؟! فقلت : الله أكبر ، إن في هذا لفَرَجاً للمسلمين، ثم قال لهم: ناظروه ، كلموه ، ياعبد الرحمن كلّمه ، فقال لي عبد الرحمن : ما تقول في القرآن ؟ قلت له : ما تقول في علم الله ؟ فسكت ، فقال لي بعضهم : أليس قال الله تعالى (الله خالق كل شيء) والقرآن أليس هو شيء ؟ فقلت : قال الله تعالى (تدمّرُ كلّ شيء بأمر ربها) فدمّرت إلا ما أراد الله ؟ فقال بعضهم (ما يأتيهم من ذكرٍ من ربهم محدثٍ) أفيكون محدثٌ إلاّ مخلوقاً ؟ فقلت : قال الله : (ص. والقرآن ذي الذكر) فالذكر هو القرآن ، وتلك ! ليس فيها ألف ولام.

وذكر بعضهم حديث عِمران بن حُصَين أن الله عز وجل خلق الذكر ، فقلت : هذا خطأ ، حدثنا غير واحد « إن الله كتب الذكر » . واحتجوا بحديث ابن مسعود « ما خلق الله من جنة ولا نار ولا سماء ولا أرض أعظمَ من آية الكرسي » . فقلت : إنما وقع الخلق على الجنة والنار والسماء والأرض ، ولم يقع على القرآن ، فقال بعضهم : حديث خَبَّابٍ « ياهَنَتاهُ ، تقربْ إلى الله بما استطعتَ ، فإنك لن تتقرب إليه بشيء أحبّ إليه من كلامه » ، فقلت : هكذا هو .

قال صالح بن أحمد : فجعل أحمد بن أبي دُؤاد ينظر إلى أبي كالمغضَب ، قال أبي : وكان يتكلم هذا فأرد عليه ، ويتكلم هذا فأرد عليه ، فإذا انقطع الرجل منهم

---

(١) سيأتي الحديث في المسند ٢٠٢٠ .

اعترض ابنُ أبي دؤاد فيقول : يا أمير المؤمنين ، هو والله ضالٌ مبتدع ! فيقول : كلموه ، ناظروه ، فيكلمني هذا فأرد عليه ، ويكلمني هذا فأرد عليه ، فإذا انقطعوا يقول لي المعتصم : ويحك يا أحمد ، ما تقول ؟ فأقول : يا أمير المؤمنين ، أعطوني شيئاً من كتاب الله أو سنة رسول الله حتى أقول به ، فيقول ابن أبي دؤاد : أنت لاتقول إلا ما في كتاب الله أو سنة رسول الله ؟ فقلت له : كما تأولتَ تأويلات فأنت أعلم ، وما تأولتَ ما يُحبس عليه وما يُقيد عليه .

وقال حنبل : قال أبو عبدالله : ولقد احتجوا علي بشيء ما يقوى قلبي ولا ينطلق لساني أن أحكيه ، أنكروا الآثار ، وما ظننتهم على هذا حتى سمعت مقالتهم ، وجعلوا يدعون بقول الخصم وكذا وكذا ، فاحتججت عليهم بالقرآن ، بقوله (يا أبت لم تعبد مالا يسمع ولا يبصر ولا يغني عنك شيئاً) فذمّ إبرهيمُ أباه أن عبدَ مالا يسمع ولا يبصر ، فهذا منكرٌ عندكم ؟! فقالوا : شبَّه يا أمير المؤمنين ، شبه يا أمير المؤمنين !

وقال محمد بن إبرهيم البُوشَنْجِي : حدثني بعض أصحابنا أن ابن أبي دؤاد أقبل على أحمد يكلمه ، فلم يلتفت إليه ، حتى قال المعتصم : يا أحمدُ ، ألا تكلمُ أبا عبدالله ؟ فقال أحمد : لست أعرفه من أهل العلم فأكلّمَهُ !

وقال صالح بن أحمد : وجعل ابن أبي دؤاد يقول : يا أمير المؤمنين ، لئن أجابك لهو أحبُ إليّ من مائة ألف دينار ومائة ألف دينار ، فيعدّ من ذلك ما شاء الله أن يَعد ، فقال المعتصم : والله لئن أجابني لأُطلقنّ عنه بيدي ولأركبنّ إليه بجندي ولأطأن عقبَه

ثم قال : يا أحمد ، والله إني عليك لشفيق ، وإني لأشفق عليك كشفقتي على هرون ابني ، ما تقول ؟ فأقول : أعطوني شيئاً من كتاب الله أو سنة رسوله .

فلما طال المجلس ضجر وقال : قوموا ، وحبسني ، يعني عنده ، وعبد الرحمن

بن إسحق يكلمني ، فقال المعتصم : ويحك أجبني ، فقال : ما أعرفك ! ألم تكن تأتينا ؟ فقال له عبد الرحمن بن إسحق : يا أمير المؤمنين، أعرفه منذ ثلاثين سنة يرى طاعتك والجهادَ والحجَّ معك ، قال : فيقول : والله إنه لعالم، و إنه لفقيه ، وما يسوؤني أن يكون معي يردُّ عني أهلَ المِلَلِ . ثم قال لي : ما كنت تعرف صالحاً الرشيدي؟ قلت : قد سمعت باسمه ، قال : كان مؤدِّبي ، وكان في ذلك الموضع جالساً ، وأشار إلى ناحية من الدار ، فسألته عن القرآن ، فخالفني ، فأمرت به فوطىء وسُحب !

ثم قال : يا أحمد ، أجبني إلى شيء لك فيه أدنى فرج حتى أطلق عنك بيدي ، قلت : أعطوني شيئاً من كتاب الله أو سنة رسوله ، فطال المجلس وقام ، ورُددت إلى الموضع الذي كنت فيه .

فلما كان بعد المغرب وجّه إليّ رجلين من أصحاب ابن أبي دؤاد ، يبيتان عندي ويناظراني ويقيمان معي ، حتى إذا كان وقتُ الإفطار جيء بالطعام ، ويجتهدان بي أن أفطر فلا أفعل ، ووجّه إليّ المعتصم ابن أبي دؤاد في بعض الليل ، فقال : يقول لك أمير المؤمنين : ما تقول ؟ فأرد عليه نحواً مما كنت أرد ، فقال ابن أبي دؤاد : والله لقد كتب اسمك في السبعة ، يحيى بن معين وغيره[1] ، فمحوته ، ولقد ساءني أخذهم إياك ، ثم يقول : إن أمير المؤمنين قد حلف أن يضربك ضرباً بعد ضرب ، وأن يلقيك في موضع لا ترى فيه الشمس ، و يقول : إن أجابني جئت إليه حتى أطلق عنه بيدي ، وانصرف .

فلما أصبح جاء رسوله ، فأخذ بيدي حتى ذهب بي إليه ، فقال لهم : ناظروه وكلموه ، فجعلوا يناظروني فأرد عليهم ، فإذا جاؤوا بشيء من الكلام مما ليس في

---

(١) قال ابن الجوزي ٣٢٤ : « قلت : السبعة . يحيى بن معين ، وأبو خيثمة ، وأحمد الدورقي ، والقواريري، وسعدويه، وسجادة ، وأحمد بن حنبل . وقيل: خلف المخزومي » .

الكتاب والسنة قلت : ما أدري ما هذا ؟! قال : يقولون : يا أمير المؤمنين ، إذا توجّهت له الحجة علينا ثبت ، وإذا كلمناه بشيء يقول لا أدري ما هذا ، فقال: ناظروه .

فقال رجل : يا أحمد أراك تذكر الحديث وتنتحله ، قلت : ما تقول في (يوصيكم الله في أولادكم للذكر مثل حظ الأنثيين) ؟ قال : خص الله بها المؤمنين ، قلت : ما تقول إن كان قاتلاً أو عبداً ؟ فسكت ، وإنما احتججتُ عليهم بهذا لأنهم كانوا يحتجون بظاهر القرآن ، حيث قال لي أراك تنتحل الحديث احتججتُ بالقرآن ، يعني فلم يزالوا كذلك إلى قرب الزوال ، فلما ضجر قال لهم : قوموا ، وخلا بي وبعبد الرحمن بن إسحق ، فلم يزل يكلمني ، ثم قال أبي : فقام ودخل ، ورددت إلى الموضع .

قال : فلما كان في الليلة الثالثة قلت : خليق أن يحدث غداً من أمري شيء ، فقلت لبعض من كان معي ، الموكل بي : ارتدْ لي خيطاً ، فجاءني بخيط ، فشددت به الأقياد ورددت التكة إلى سراويلي ، مخافة أن يحدث من أمري شيء فأتعرّى ، فلما كان من الغد في اليوم الثالث وجّه إلي ، فأدخلت ، فإذا الدار غاصة ، فجعلت أدخل من موضع إلى موضع ، وقوم معهم السيوف ، وقوم معهم السياط ، وغير ذلك ، ولم يكن في اليومين الماضيين كبير أحد من هؤلاء ، فلما انتهيت إليه ، قال : اقعد ، ثم قال : ناظروه ، كلموه ، فجعلوا يناظروني ، ويتكلم هذا فأرد عليه ، ويتكلم هذا فأردّ عليه ، وجعل صوتي يعلو أصواتهم ، فجعل بعض من على رأسه قائم يومئ إلي بيده ، فلما طال المجلس نحاني ثم خلا بهم ، ثم نحاهم وردني إلى عنده ، فقال : ويحك يا أحمد ! أجبني حتى أطلق عنك بيدي ، فرددت عليه نحواً مما كنت أرد ، فقال لي : عليك ، وذكر اللعن ، وقال : خذوه واسحبوه وخلّعوه ، قال : فسحبت ثم خُلّعت .

قال : وقد كان صار إليّ شعرٌ من شعر النبي صلى الله عليه وسلم في كم قميصي ،

فوجه إليّ إسحق بن إبرهيم : ما هذا المصرور في كم قميصك ؟ قلت : شعر من شعر رسول الله صلى عليه ، قال : وسعى بعض القوم إلى القميص ليخرقه علي ، فقال لهم ، يعني المعتصم : لا تخرقوه ، فنزع القميصُ عني ، قال : فظننت أنه إنما دُرِئ عن القميص الخرق بسبب الشعر الذي كان فيه ، قال : وجلس المعتصم على كرسي ، ثم قال : العقابين والسياط ! فجيء بالعقابين ، فمدت يداي ، فقال بعض من حضر خلفي : خذ نايَ الخشبتين بيديك وشدّ عليهما ، فلم أفهم ما قال ، فتخلعت يداي .

وقال محمد بن إبرهيم البوشنجي : ذكروا أن المعتصم لانَ في أمر أحمد لما علق في العقابين ، ورأى ثبوته وتصميمه وصلابته في أمره ، حتى أغراه ابن أبي دؤاد ، فقال له : إن تركته قيل إنك تركت مذهب المأمون وسخطتَ قوله ، فهاجه ذلك على ضربه .

قال صالح : قال أبي : لما جيء بالسياط نظر إليها المعتصم وقال : ائتوني بغيرها ، ثم قال للجلادين : تقدموا ، فجعل يتقدم إليّ الرجل منهم فيضربني سوطين ، فيقول له : شد ، قطع الله يدك ! ثم يتنحى ويقوم الآخر فيضربني سوطين ، وهو يقول في كل ذلك : شد ، قطع الله يدك ! فلما ضربت تسعة عشر سوطاً قام إليّ ، يعني المعتصم : وقال : يا أحمد ، علام تقتل نفسك ؟ إني والله عليك لشفيق ، قال : فجعل عُجَيْف ينخسني بقائمة سيفه ، وقال : أتريد أن تغلبَ هؤلاء كلهم ؟ وجعل بعضهم يقول : ويلكَ ، الخليفةُ على رأسك قائم ! وقال بعضهم : يا أمير المؤمنين ، دمُه في عنقي ، اقتله ! وجعلوا يقولون : يا أمير المؤمنين ، أنت صائم ، وأنت فى الشمس قائم ! فقال لي : ويحك يا أحمد ، ما تقول ؟ فأقول : أعطوني شيئاً من كتاب الله أو سنة رسول الله صلى الله عليه أقول به ، فرجع وجلس ، وقال للجلاد : تقدم وأوْجِـع ، قطع الله يدكَ ! ثم قام الثانية ، فجعل يقول : ويحك يا أحمد ، أجبني ،

فجعلوا يقبلون علي و يقولون : يا أحمد ، إمامك على رأسك قائم ! وجعل عبد الرحمن يقول : من صنع من أصحابك في هذا الأمر ما تصنع ؟ وجعل المعتصم يقول : ويحك، أجبني إلى شيء لك فيه أدنى فرج حتى أطلق عنك بيدي ، فقلت : يا أمير المؤمنين ، أعطوني شيئاً من كتاب الله ، فيرجع ، وقال للجلادين : تقدموا ، فجعل الجلاد يتقدم ويضرب بي سوطين ويتنحى ، وهو في خلال ذلك يقول : شد ، قطع الله يدك ! قال أبي : فذهب عقلي ، فأفقت بعد ذلك فإذا الأقياد قد أُطلقتْ عني ، فقال لي رجل ممن حضر : إنا كبَبْناك على وجهك ، وطرحنا على ظهرك بارية ودُسْناكَ ! قال أبي : فما شعرت بذلك ، وأتوني بسَويق فقالوا لي : اشرب وتقيأ ، فقلت : لا أفطر ، ثم جيءْ بي إلى دار إسحق بن إبرهيم ، فحضرتْ صلاة الظهر ، فتقدم ابن سَماعة فصلّى ، فلما انفتل من الصلاة قال لي : صليتَ والدم يسيل في ثوبك ؟ فقلت : قد صلى عمر وجرحه يَثْعَبُ دماً .

قال صالح : ثم خُلي عنه فصار إلى منزله ، وكان مكثه في السجن ، منذ أخذ وحمل إلى أن ضرب وخُلي عنه ، ثمانيةً وعشرين شهراً . ولقد أخبرني أحد الرجلين اللذين كانا معه ، قال : يا ابن أخي ، رحمة الله على أبي عبد الله ، والله ما رأيت أحداً يشبهه ، ولقد جعلت أقول له في وقت ما يُوَجّه إلينا بالطعام : يا أبا عبد الله ، أنت صائم ، وأنت في موضع تَقِيّة[1] ، ولقد عطش فقال لصاحب الشراب : ناولني ،

---

(١) التقية إنما يجوز للمستضعفين الذين يخشون أن لا يثبتوا على الحق ، والذين ليسوا بموضع القدوة للناس ، وهؤلاء يجوز لهم أن يأخذوا بالرخصة . أما أولو العزم من الأئمة الهداة ، فإنهم يأخذون بالعزيمة ، ويحتملون الأذى ويثبتون ، وفي سبيل الله ما يلقون . ولو أنهم أخذوا بالتقية ، واستساغوا الرخصة لضل الناس من ورائهم ، يقتدون بهم ، ولا يعلمون أن هذه تقية . وقد أتي المسلمون من ضعف علمائهم في مواقف الحق ، لا يصدعون بما يؤمرون ، يجاملون في دينهم وفي الحق ، لا يجاملون الملوك والحكام فقط ، بل يجاملون كل من طلبوا منه نفعاً ، أو خافوا ضراً ، في الحقير والجليل من أمر الدنيا . وكل أمر الدنيا حقير . فكان من ضعف المسلمين بضعف

فناوله قدحاً فيه ماء وثلج ، فأخذه ونظر إليه هنيَّة ، ثم ردَّه ولم يشرب ! فجعلت أعجب من صبره على الجوع والعطش ، وهو فيما هو فيه من الهول !

قال صالح : كنت ألتمس وأحتال أن أوصل إليه طعاماً أو رغيفاً في تلك الأيام ، فلم أقدر . وأخبرني رجل حضره : أنه تفقده في هذه الأيام الثلاثة وهم يناظرونه ، فما لحن في كلمة ، قال : وما ظننت أن أحداً يكون في مثل شجاعته وشدة قلبه .

وقال حنبل : سمعت أبا عبد الله يقول : ذهب عقلي مراراً ، فكان إذا رُفع عني الضربُ رجعت إليَّ نفسي ، وإن استرخيتُ وسقطتُ رُفع الضرب ، أصابني ذلك مراراً ، ورأيته ، يعني المعتصم ، قاعداً في الشمس بغير مظلة ، فسمعته وقد أفقتُ يقول لابن أبي دؤاد : لقد ارتكبتُ في أمر هذا الرجل ، فقال : يا أمير المؤمنين ، إنه والله كافر مشرك ، قد أشرك من غير وجه ! فلا يزال به حتى يصرفه عما يريد ، فقد كان أراد تخليتي بغير ضرب فلم يَدَعْهُ ولا إسحقُ بن إبرهيم ، وعزم حينئذ على ضربي .

قال حنبل : وبلغني أن المعتصم قال لابن أبي دؤاد بعد ما ضُرب أبو عبد الله : كم ضُرب ؟ فقال ابن أبي دؤاد : نيفاً وثلاثين ، أو أربعةً وثلاثين سوطاً .

وقال أبو عبد الله : قال لي إنسان ممن كان ثَمَّ : ألقينا على صدرك بارية وأكببناك على وجهك ودُسْناك .

قال أبو الفضل عبيد الله الزهري : قال المرُّوذيّ : قلت وأحمد بين

علمائهم ما نرى . ولقد قال رجل من أئمة هذا العصر المهتدين ، فيما كتب إلى أبي رحمه الله ، من خطاب سياسي عظيم ، في جمادى الأولى سنة ١٣٣٧ ، قال : « وكأن السلفيين لم يبلغهم من هداية كتابهم فيما يغشاهم من ظلمات الحوادث غير قوله تعالى (إلا أن تتقوا منهم تقاة) ثم أصيبوا بجنون التأويل فيما سوى ذلك ، ولست أدري وقد فهموا منها ما فهموا ، كيف يقولون بوجوب الجهاد ، وهو إتلاف للنفس والمال ؟ ! وكيف يفهمون تعرضه صلى الله عليه وسلم لصنوف البلاء والإيذاء ؟ ! ولماذا يؤمنون بكرامة الشهداء والصابرين في البأساء والضراء على الله » ؟ !

الهُنَيَارَيْن : يا أستاذ ، قال الله تعالى ﴿ ولا تقتلوا أنفسكم ﴾ قال . يا مروذي ، اخرج انظر ، فخرجت إلى رحبة دار الخليفة ، فرأيت خلقاً لا يحصيهم إلا الله تعالى ، والصحف في أيديهم والأقلامُ والمحابرُ ، فقال لهم المرُّوذي : أي شيءٌ تعملون ؟ قالوا : ننتظر ما يقول أحمد فنكتبه ، فدخل إلى أحمد فأخبره ، فقال يا مَرُّوذيّ ، أُضِل هؤلاء كلَّهم ؟ !

قلت : هذه حكاية منقطعة لا تصح[١] .

قال ابنُ أبي حاتم : حدثنا عبد الله بن محمد بن الفضل الأسدي قال : لما حُمل أحمد ليُضرب ، جاؤوا إلى بشر بن الحرث ، فقالوا : قد حُمل أحمد بن حنبل ، وحملت السياط ، وقد وجب عليك أن تتكلم ، فقال : تريدون منّي مقام الأنبياء ؟ ! ليس ذا عندي ! حفظ اللهُ أحمد بين يديه ومن خلفه ! !

وقال الحسن بن محمد بن عثمان الفَسَوِيّ : حدثني داود بن عرفة حدثنا ميمون بن الأصبغ قال : كنت ببغداد ، فسمعت ضجةً ، فقلت : ما هذا ؟ قالوا : أحمد يُمتحَن ، فأخذتُ مالاً له خطر ، فذهبت به إلى من يدخلني إلى المجلس ، فأدخلوني ، و إذا بالسيوف قد جُرِّدت ، و بالرماح قد رُكِزَت ، و بالتراس[٢] قد صُفِّفت ، و بالسياط قد طرحت ، فألبسوني قباء أسود ومِنْطَقةً وسيفاً ، ووقفوني حيث أسمع الكلام ، فأتى أميرُ المؤمنين فجلس على كرسي ، وأُتي بأحمد بن حنبل ،

---

(١) هكذا قال الذهبي . ونقلها ابنُ الجوزي أيضاً ٣٢٩ — ٣٣٠ ثم قال : « هذا رجل هانت عليه نفسه في الله تعالى فبذلها ، كما هانت على بلال نفسه . وقد روينا عن سعيد بن المسيب : أنه كانت نفسه عليه في الله تعالى أهون من نفس ذباب . وإنما تهون أنفسهم عليهم لتلمحهم العواقب ، فعيون البصائر ناظرة إلى المآل ، لا إلى الحال . وشدة ابتلاء أحمد دليل على قوة دينه ، لأنه قد صح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : يبتلى المرء على حسب دينه . فسبحان من أيده وبصره وقواه ونصره »

(٢) « التراس » بكسر التاء : جمع « تُرس » بضمها ، وهو الذي يتوقى به من السلاح ، وهو معروف ، ويجمع أيضاً على « أتراس » و « تروس »

فقال له : وقرابتي من رسول الله لأضربنك بالسياط ، أو تقول كما أقول [١] ، ثم التفت إلى جلاد ، فقال : خذه إليك ، فأخذه ، فلما ضرب سوطاً قال : بسم الله ، فلما ضرب الثاني قال : لا حول ولا قوة إلا بالله ، فلما ضرب الثالث قال : القرآن كلام الله غير مخلوق ، فلما ضرب الرابع قال : (قل لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا) ، فضربه تسعة وعشرين سوطاً ، وكانت تِكّةُ أحمد حاشية ثوب ، فانقطعت فنزل السراويل إلى عانته ، فقلت : الساعة ينهتك ، فرمى بطرفه إلى السماء وحرّك شفتيه ، فما كان بأسرع من أن بقي السراويل لم ينزل ، فدخلت عليه بعد سبعة أيام ، فقلت : يا أبا عبد الله ، رأيتك وقد انحل سراويلك فرفعت رأسك أو طرفك نحو السماء ، فما قلت ؟ قال : قلت : اللهم إني أسألك باسمك الذي ملأت به العرش إن كنت تعلم أني على الصواب فلا تهتك لي ستراً .

وقال جعفر بن أحمد بن فارس الأصبهاني : حدثنا أحمد بن أبي عبيد الله قال : قال أحمد بن الفرج : حضرت أحمد بن حنبل لما ضُرب ، فتقدم أبو الدنّ ، فضربه بضعة عشر سوطاً ، فأقبل الدم من أكتافه ، وكان عليه سراويل ، فانقطع خيطه فنزل السراويل ، فلحظته وقد حرك شفتيه ، فعاد السراويل كما كان ، فسألته عن ذلك ؟ فقال : قلت إلهي وسيدي ، وقفتني هذا الموقف فتهتكني على رؤوس الخلائق

هذه حكاية لا تصح ، ولقد ساق فيها أبو نعيم الحافظ من الخرافات والكذب ما يُستحى من ذكره .

وأضعف منها ما رواه أبو نعيم في الحلية : حدثنا الحسين بن محمد حدثنا إبرهيم بن محمد بن إبرهيم القاضي حدثني أبو عبد الله الجوهري حدثني يوسف بن يعقوب سمعت عليّ بن محمد القرشي قال : لما قُدِّم أحمد ليضرب وجُرِّد وبقي في سراويله ،

(١) هنا بهامش الأصل مانصه : « هذه الحكاية باطلة » . ولا أدري لماذا ؟ !

فبينما هو يضرب انحل سراويله ، فجعل يحرك شفتيه بشيء ، فرأيت يدين خرجتا من تحته وهو يُضرب ، فشدّتا السراويل ، فلما فرغوا من الضرب قلنا له : ما كنت تقول ؟ قال : قلت : يا من لا يعلم العرشُ منه أين هو إلا هو ، إن كنتُ على حق فلا تُبْدِ عورتي .

قلت : هذه مكذوبة ذكرتها للمعرفة ، ذكرها البيهقي وما جسر على تضعيفها !

ثم روى بعدها حكايةً في المحنة عن أبي مسعود البجلي إجازة عن ابن جهضم ، وهو كذوب ، عن النجّار عن ابن أبي العوّام الرياحي ، فيها من الركاكة والتخبط ما لا يروج إلا على الجهّال ، وفيها أن مئزره اضطرب فحرك شفتيه ، فما استتم الدعاء حتى رأيت كفاً من ذهب قد خرجت من تحت مئزره بقدرة الله ! فصاحت العامة .

وقال محمد بن أبي سمينة : سمعت شاباص التائب يقول : لقد ضربت أحمد بن حنبل ثمانين سوطاً ، لو ضربته فيلاً لهدّته .

قال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي قال : قال إبرهيم بن الحرث العُبادي[1] : قال أبو محمد الطفاوي لأحمد : يا أبا عبد الله ، أخبرني عما صنعوا بك قال : لما ضربت جاء ذاك الطويلُ اللحية ، يعني عُجيفاً ، فضربني بقائم سيفه ، فقلت : جاء الفرج ، يُضرب عنقي وأستريح ، فقال ابن سماعة : يا أمير المؤمنين ، اضرب عنقه ودمه في رقبتي ، قال ابن أبي دُوَاد : لا يا أمير المؤمنين ، لا تفعل ، فإنه إن قتل أو مات في دارك قال الناس : صبر حتى قُتل ، فاتخذوه إماماً ، وثبتوا على ما هم عليه ، ولكن أطلقه الساعة ، فإن مات خارجاً عن منزلك شك الناس في أمره .

قال ابن أبي حاتم : وسمعت أبا زُرْعة يقول : دعا المعتصم بعمّ أحمد بن حنبل ،

---

(١) في ابن الجوزي ٣٣٩ : « من ولد عبادة بن الصامت » . وإبرهيم هذا من كبار أصحاب الإمام أحمد ، قال الخلال : « كان أبو عبد الله — يعني أحمد — يعظم قدره ويرفعه » . وهو من شيوخ أبي داود وأبي بكر الأثرم . له ترجمة في التهذيب ١ : ١١٣ .

ثم قال للناس : تعرفونه ؟ قالوا : نعم ، وهو أحمد بن حنبل ، قال : فانظروا إليه ، أليس هو صحيح البدن ؟ قالوا : نعم . ولولا أنه فعل ذلك لسكنت أخافُ أن يقع شيء لا يقامُ له ، قال : فلما قال قد سلمته إليكم صحيح البدن ، هدأ الناسُ وسكنوا .

قال صالح : صار أبي إلى المنزل ، ووُجّه إليه من السَّحَر مَن يُبصر الضربَ والجراحات ويعالِجُ منها ، فنظر إليه ، فقال لنا : والله لقد رأيتُ من ضُربَ ألفَ سوطٍ ما رأيتُ ضرباً أشدَّ من هذا ، لقد جُرَّ عليه من خلفه ومن قُدامه ، ثم أدخل ميلاً في بعض تلك الجراحات ، وقال : لم يَنقُبْ ، فجعل يأتيه ويعالجه ، وكان قد أصاب وجههَ غير ضربة ، ثم مكث يعالجه إلى ما شاء الله ، ثم قال : إن ههنا شيئاً أريد أن أقطعه ، فجاء بحديدة فجعل يُعلِّق اللحم بها ويَقطعه بسكين ، وهو صابر يحمد الله ، فبرأ ، ولم يزل يتوجع من مواضع منه ، وكان أثر الضرب بيّناً في ظهره إلى أن توفي .

وسمعت أبي يقول : والله لقد أعطيتُ المجهودَ من نفسي ، ووددتُ أني أنجو من هذا الأمر كِفافاً لا علي ولا لي .

ودخلت على أبي يوماً ، فقلت له : بلغني أن رجلاً جاء إلى فضلٍ الأنماطيّ فقال له : اجعلني في حلٍّ إذْ لم أقم بنصرتك ، فقال فضل : لا جعلتُ أحداً في حل ، فتبسم أبي وسكت ، فلما كان بعد أيام قال : مررت بهذه الآية (فمن عفا وأصلح فأجره على الله) فنظرت في تفسيرها فإذا هو ما حدثني أبو النضر حدثنا ابنُ فَضالة المبارك حدثني مَن سمع الحسن يقول : إذا جثت الأمم بين يدي رب العالمين نودوا : ليقم من أجره على الله ، فلا يقوم إلا من عفا في الدنيا ، قال أبي : فجعلت الميّت في حل من ضربه إياي ، ثم جعل يقول : وما على رجل ألا يعذِّبَ اللهُ بسببه أحداً !

وقال حنبل بن إسحق : لما أمر المعتصم بتخلية أبي عبد الله خلع عليه مُبَطَّنَةَ

وقميصاً وطيلساناً وخفّاً وقلنسوة ، فبينا نحن على باب الدار والناسُ في الميدان والدروب وغيرها وأُغلقت الأسواق ، إذ خرج أبو عبد الله على دابة من دار أبي إسحق المعتصم ، وعليه تلك الثياب ، وابنُ أبي دؤاد عن يمينه ، وإسحق بن إبرهيم ، يعني نائبَ بغداد ، عن يساره ، فلما صار في دهليز المعتصم قبل أن يخرج قال لهم ابنُ أبي دؤاد : اكشفوا رأسه ، فكشفوه ، يعني من الطيلسان فقط ، وذهبوا يأخذون به ناحية الميدان نحو طريق الحبس ، فقال لهم إسحق : خذوا به ههنا ، يريد دجلة ، فذُهِبَ به إلى الزورق ، وحُمل إلى دار إسحق فأقام عنده إلى أن صُلِّيَتِ الظهرُ ، وبعث إلى أبي وإلى جيراننا ومشايخ المحالّ ، فجُمعوا وأُدخلوا عليه ، فقال لهم : هذا أحمد بن حنبل إن كان فيكم من يعرفه ، وإلّا فليعرّفه ، فقال ابن سماعة حين دخل للجماعة : هـذا أحمد بن حنبل ، فإن أمير المؤمنين ناظر في أمره ، وقد خلّى سبيله ، وها هو ذا ، فأُخرج على دابة لإسحق بن إبرهيم عند غروب الشمس ، فصار إلى منزله ومعه السلطانُ والناسُ ، وهو منحنٍ ، فلما ذهب لينزل احتضنتُه ولم أعلمْ ، فوقعتْ يدي على موضع الضرب ، فصاح ، فنحّيْتُ يدي ، فنزل متوكئاً عليّ ، وأغلق الباب ، ودخلنا معه ، ورمى بنفسه على وجهه ، لا يقدر يتحرك إلا بجهد ، وخلع ما كان خُلِعَ عليه فأمر به فبيع ، وأخذ ثمنه فتصدق به .

وكان المعتصم أمر إسحق بن إبرهيم أن لا يقطع عنه خبره ، وذلك أنه نزل فيما حكى لنا عند الإياس منه ، وبلغنا أن المعتصم ندم وأُسْقِطَ في يده حتى صلح ، فكان صاحبُ الخبر إسحق يأتينا كل يوم يتعرف خبره ، حتى صحّ ، وبقيتْ إبهاماه متخلّعتين ، تضربان عليه في البرد ، حتى يُسخَّن له الماء ، ولما أردنا علاجه خفنا أن يَدُسّ ابن أبي دؤاد سمّاً إلى المعالج ، فعملنا الدواء والمرهم في منزلنا .

وسمعتُه يقول : كل من ذكرني في حلٍّ إلا مبتدع ، وقد جعلت أبا إسحق ، يعني المعتصم ، في حلٍّ ، ورأيت الله تعالى يقول : ﴿ وليعفوا وليصفحوا ألا تحبّون

أن يغفر الله لكم) ، وأمر النبي صلى الله عليه أبا بكر بالعفو في قصة مِسْطَح ، قال أبو عبد الله : العفو أفضلُ ، وما ينفعُك أن يعذَّب أخوكَ المسلمُ في سَبَبِكَ !

فصل في محنته من الواثق

قال حنبل : ولم يزل أبو عبد الله بعد أن برئ من مرضه يحضر الجمعةَ والجماعةَ ، ويفتي ويحدث ، حتى مات المعتصم وولي ابنُه الواثق ، فأظهر ما أظهر من المحنة والميل إلى ابن أبي دؤاد وأصحابه ، فلما اشتد الأمر على أهل بغداد ، وأظهر القضاةُ المحنة ، وفُرِّق بين فضل الأنماطي وامرأته وبين أبي صالح وامرأته ، كان أبو عبد الله يشهد الجمعةَ ويعيد الصلاةَ إذا رجع ، ويقول : الجمعة تُؤتى لفضلها ، والصلاةُ تعاد خلفَ من قال بهذه المقالة ، وجاء نفر إلى أبي عبد الله وقالوا : هـذا الأمر قد فشا وتفاقم ، ونحن نخافه على أكثر من هذا ، وذكروا أن ابن أبي دؤاد على أن يأمر المعلمين بتعليم الصبيان في الكتاب مع القرآن : القرآن كذا وكذا ، فنحن لا نرضى بإمارته ، فمنعهم من ذلك وناظرهم .

وحكى حنبل قصدَه في مناظرتهم وأمرهم بالصبر ، فبينا نحن في أيام الواثق إذ جاء يعقوب ليلاً برسالة إسحق بن إبرهيم إلى أبي عبد الله : يقول لك الأمير ، إن أمير المؤمنين قد ذَكَرَكَ ، فلا يجتمعنّ إليك أحد ، ولا تساكنّي بأرضٍ ولا مدينةٍ أنا فيها ، فاذهب حيثُ شئتَ من أرض الله . فاختفى أبو عبد الله بقية حياة الواثق ، وكانت تلك الفتنة وقتلُ أحمد بن نصر .

فلم يزل أبو عبد الله مختفياً في غير منزله في القرب ، ثم عاد إلى منزله بعد أشهر أو سنة لما طفئ خبرُه ، ولم يزل في البيت مختفياً لا يخرج إلى الصلاة ولا غيرها حتى هلك الواثق .

وعن إبرهيم بن هانئ قال : اختفى أحمد بن حنبل عندي ثلاثة أيام ، ثم قال : اطلبْ لي موضعاً ، قلت : لا آمَنُ عليك ، قال : افعلْ ، فإذا فعلتَ أفدتُك ، فطلبت له موضعاً ، فلما خرج قال لي : اختفى رسول الله صلى الله عليه في الغار ثلاثةَ أيام ثم تحوّل[١] .

قلتُ : أنا أتعجب من الحافظ أبي القاسم[٢] ، كيف لم يسق المحنة ولا شيئاً منها في تاريخ دمشق ، مع فرط استقصائه ، ومع صحة أسانيدها !! ولعل له نية في تركها[٣] .

---

(١) زاد ابن الجوزي ٣٥٠ بقية كلام الإمام أحمد : « وليس ينبغي أن تتبع سنة رسول الله في الرخاء وتترك في الشدة » . وهي حكمة بالغة من الإمام ، ليت الناس فهموها وعملوا بها .

(٢) يريد الحافظ ابن عساكر ، مؤلف تاريخ دمشق .

(٣) ساق ابن الجوزي ٣٥٠ — ٣٥٢ وابن كثير ١٠ : ٣٢١ سبب ترك الواثق للمحنة ، المعنى واحد واللفظ لابن كثير ، قال : « وذكر عن محمد المهتدي بن الواثق : أن شيخاً دخل يوماً على الواثق ، فسلم فلم يردّ عليه الواثق ، بل قال : لاسلم الله عليك ! فقال : يا أمير المؤمنين ، بئس ما أدبك معلمك ، قال الله تعالى : (وإذا حُيّيتم بتحية فحيوا بأحسن منها أو ردوها) فلا حييتني بأحسن منها ولا رددتها ! فقال ابن أبي دؤاد : يا أمير المؤمنين ، الرجل متكلم ، فقال : ناظره ، فقال ابن أبي دؤاد : ما تقول ياشيخُ في القرآن ؟ أمخلوق هو ؟ فقال الشيخ : لم تنصفني ، المسألة لي ، فقال : قل ، فقال : هذا الذي تقوله ، علمه رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر وعمر وعثمان وعلي ، أو ما علموه ؟ فقال ابن أبي دؤاد : لم يعلموه ؟ قال : فأنت علمتَ ما لم يعلموا ؟ ! فخجل وسكت ، ثم قال : أقِلْني ، بل علموه ، قال : فلم لادعوا الناسَ إليه كما دعوتهم أنت ؟ أما يسعك ما وسعهم ؟ ! فخجل وسكت ، وأمر الواثق له بجائزة نحواً بعمائة دينار ، فلم يقبلها ، قال المهتدي : فدخل أبي المنزل فاستلق على ظهره ، وجعل يكرر قول الشيخ على نفسه ، ويقول : أما وسعك ما وسعهم ؟ ! ثم أطلق الشيخ وأعطاه أربعمائة دينار ورده إلى بلاده ، وسقط من عينيه ابنُ أبي دؤاد ، ولم يمتحن بعده أحداً

فصل

في حال أبي عبد الله أيامَ المتوكل

قال حنبل : وليَ جعفر المتوكل ، فأظهر اللهُ السنةَ ، وفرّج عن الناس ، وكان أبو عبد الله يحدثنا ويحدث أصحابه في أيام المتوكل ، وسمعته يقول : ما كان الناس إلى الحديث والعلم أحوج منهم في زماننا .

ثم إن المتوكل ذكره وكتب إلى إسحق بن إبرهيم في إخراجه إليه ، فجاء رسول إسحق إلى أبي عبد الله يأمره بالحضور ، فمضى أبو عبد الله ثم رجع ، فسأله أبي عما دُعي له ؟ فقال : قرأ عليّ كتاب جعفر يأمرني بالخروج إلى العسكر ، قال : وقال لي إسحق بن إبرهيم : ما تقول في القرآن ؟ فقلت : إن أمير المؤمنين قد نهى عن هذا ! فقال : لا تُعلِم أحداً أني سألتك ! فقلت له : مسألة مسترشِدٍ أو مسألة متعنِّتٍ ؟ قال : بل مسألةُ مسترشد ، فقلت له : القرآن كلام الله ليس بمخلوق ، وقد نهى أمير المؤمنين عن هذا .

وخرج إسحق إلى العسكر ، وقدم ابنُه محمد خليفةً له ببغداد ، ولم يكن عند أبي عبد الله ما يتجمّل به وينفقُه ، وكانت عندي مائة درهم . فأتيتُ بها إلى أبي فذهب بها إليه ، فأخذها وأصلح بها ما احتاج إليه واكترى منها ، وخرج ، ولم يَلقَ محمد بن إسحق بن إبرهيم ولا سلّم عليه ، فكتب بذلك محمد إلى أبيه ، فحقدها إسحق عليه ، فقال للمتوكل : يا أمير المؤمنين ، إن أحمد بن حنبل خرج من بغداد ولم يأت محمداً مولاك ، فقال المتوكل : يردّ ولو وطيء بساطي ، وكان أبو عبد الله قد بلغ بُصْرَى[1] ، فوجه إليه رسولاً يأمره بالرجوع ، فرجع ، وامتنع من الحديث إلا لولده ولنا ، وربما قرأ علينا في منزلنا .

---

(١) بصرى المشهورة : بالشام ، وهذه بصرى أخرى ، من قرى بغداد قرب عكبراء . انظر معجم البلدان .

ثم إن رافضاً رفعَ إلى المتوكل : إن أحمد بن حنبل رَبَّصَ عَلَوِيًّا في منزله ، وإنه يريد أن يُخرجه ويُبايع عليه ، ولم يكن عندنا علم ، فبينا نحن ذات ليلة نيام في الصيف ، سمعنا الجلبة ، ورأينا النيران في دار أبي عبد الله ، فأسرعنا ، وإذا أبو عبد الله قاعد في إزار ، ومظفَّرُ بن الكلبي صاحبُ الخبر وجماعة معهم ، فقرأ صاحب الخبر كتابَ المتوكل : وَرَدَ على أمير المؤمنين أن عندك علويًّا ربَّصته لتُبايع له وتُظهره ، في كلام طويل ، ثم قال له مظفر : ما تقول ؟ قال : ما أعرف من هذا شيئاً ، وإني لأرى له السمع والطاعة في عُسْري ويُسْري ، ومَنْشَطي ، ومَكْرَهي وأثَرَةٍ عليّ[1] وإني لأدعو الله له بالتسديد والتوفيق في الليل والنهار ، في كلام كثير غير هذا ، فقال ابن الكلبي : قد أمرني أمير المؤمنين أن أحلّفك ! قال : فأحلفه بالطلاق ثلاثاً : أن ما عنده طَلِبَةُ أمير المؤمنين ! قال : وفتشوا منزل أبي عبد الله ، والسربَ ، والغُرَف ، والسطوح ، وفتشوا تابوت الكتب ، وفتشوا النساء والمنازل ، فلم يروا شيئاً ، ولم يحسّوا بشيء ، وردَّ الله الذين كفروا بغيظهم ، فكتب بذلك إلى المتوكل ، فوقع منه موقعاً حسناً ، وعلم أن أبا عبد الله مكذوب عليه ، وكان الذي دسّ عليه رجل من أهل البدع ، ولم يَمُتْ حتى بيَّن الله أمره للمسلمين ، وهو ابن الثَّلْجي[2]

---

(١) يشير إلى حديث عبادة بن الصامت في صحيح مسلم ٢ : ٨٦ : «بايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم على السمع والطاعة في العسر واليسر ، والمنشط والمكره ، وعلى أثرة علينا ، وعلى أن لا ننازع الأمر أهله ، وعلى أن نقول بالحق أينما كنا ، لانخاف في الله لومة لائم» . وسيأتي في المسند روايات أخر (ج ٥ ص ٣١٤ ، ٣١٦ ، ٣١٩ ، ٣٢١ ح) .

(٢) هو محمد بن شجاع أبو عبد الله بن الثلجي الفقيه ، قال ابن عدي : «كان يضع الحديث في التشبيه ، ينسبها إلى أصحاب الحديث ، يسابهم بذلك» ! وقال الأزدي : «كذاب ، لاتحل الرواية عنه لسوء مذهبه وزيغه عن الدين» . مات في ذي الحجة سنة ٢٦٦ . وله ترجمة في تاريخ بغداد ٥ : ٣٥٠ — ٣٥٢ والميزان ٣ : ٧١ — ٧٢ والتهذيب ٩ : ٢٢٠ — ٢٢١ والشذرات ٢ : ١٥١ .

فلما كان بعد أيام بينا نحن جلوس بباب الدار إذا يعقوبُ أحدُ حجّاب المتوكل قد جاء ، فاستأذن على أبي عبد الله ، فدخل ودخل أبي وأنا ومع بعض غلمانه بدْرةٌ على بغل ، ومعه كتاب المتوكل ، فقرأه على أبي عبد الله : إنه صح عند أمير المؤمنين براءةُ ساحتك ، وقد وَجَّه إليك بهذا المال تستعين به ، فأبى أن يقبله ، فقال : مالي إليه حاجة فقال : يا أبا عبد الله ، اقبل من أمير المؤمنين ما أمرك به ، فإن هذا خير لك عنده ، فاقبلْ ولا تَرُدَّه ، فإنك إن رددته خفتُ أن يَظُنَّ بك سوءا ، فحينئذ قبلها ، فلما خرج قال : يا أبا علي ، قلت : لبيك ، قال : ارفع هذه الإِجّانةَ وضَعْها ، يعني البدرة ، تحتها ، فوضعتها وخرجنا ، فلما كان من الليل إذا أُمُّ ولدِ أبي عبد الله تدقّ علينا الحائط ، فقلت لها : مالكِ ؟ قالت : مولاي يدعو عمَّه ، فأعلمتُ أبي ، وخرجنا فدخلنا على أبي عبد الله ، وذلك في جوف الليل ، فقال : يا عَمّ ، ما أخذني النومُ هذه الليلة ، فقال له أبي : ولِمَ ؟ قال : لهذا المال ، وجعل يتوجع لأخذه ، وجعل أبي يُسَكِّنُه ويسهِّل عليه ، فقال : حتى تصبحَ وترى فيه رأيك ، فإن هذا ليل ، والناس في منازلهم ، فأمسكَ وخرجنا ، فلما كان في السحر وجَّه إلى عبدوس بن مالك والحسن بن البزّار فحضرا ، وحضر جماعة ، منهم هرون الحمّال ، وأحمد بن منيع ، وابنُ الدَّوْرَقي ، وأنا ، وأبي ، وصالح ، وعبد الله ، فجعلنا نكتب من يذكرونه من أهل السّتر والصلاح ببغدادَ والكوفة ، فوجَّه منها إلى أبي سعيد الأشجّ ، وإلى أبي كُرَيب ، وإلى من ذكر من أهل العلم والسنة ، ممن يعلمون أنه محتاج ، ففرقها كلّها ، ما بين الخمسين إلى المائة والمائتين ، فما بقي في الكيس درهم ، ثم تصدق بالكيس على مسكين .

فلما كان بعد ذلك مات إسحق بن إبرهيم وابنه محمد ، ووليَ بغداد عبدُ الله بن إسحق ، فجاء رسوله إلى أبي عبد الله ، فذهب إليه ، فقرأ عليه كتاب المتوكل ، فقال له : يأمرك بالخروج ، فقال : أنا شيخ ضعيف عليل ، فكتب عبد الله بما ردَّ عليه ، فورد جوابُ الكتاب بأن أمير المؤمنين يأمره بالخروج ، فوجّه عبد الله

جنوده فباتوا على بابنا أياماً ، حتى تهيأ أبو عبد الله للخروج ، فخرج وخرج صالح وعبد الله وأبي ، زُمَيْلة[1] .

قال صالح : كان حَمْل أبي إلى المتوكل سنة سبع وثلاثين ومائتين ، ثم عاش إلى سنة إحدى وأربعين ، فكان قلّ يومٌ يمضي إلا ورسوله المتوكل يأتيه .

قال حنبل في حديثه : وقال أبي : ارجع ، فرجعت ، فأخبرني أبي قال : لما دخلنا إلى المسكر إذا نحن بموكب عظيم مقبل ، فلما حاذى بنا قالوا : هذا وصيفٌ ، وإذا فارس قد أقبل ، فقال لأحمد : الأميرُ وصيف يقرئك السلام ويقول لك : إن الله قد أمكنك من عدوك ، يعني ابن أبي دؤاد ، وأمير المؤمنين يَقبلُ منك ، فلا تَدَعْ شيئاً إلا تكلمت به ، فما ردَّ عليه أبو عبدالله شيئاً ، وجعلت أنا أدعو لأمير المؤمنين ، ودعوتُ لوصيف ، ومضينا ، فأنزلنا في دار التياخ ، ولم يعلم أبو عبد الله ، فسأل بعد ذلك : لمن هذه الدار ؟ قالوا : هذه دار التَّيَاخ ، فقال : حَوّلوني ، اكتروا لي داراً ، قالوا : هذه دار أنزلكها أميرُ المؤمنين ، قال : لا أبيت ههنا ، قال أبي : فلم نزل حتى اكترينا له داراً ، وكانت تأتينا في كل يوم مائدة فيها ألوان يأمر بها المتوكلُ والفاكهة والثلجُ وغير ذلك ، فما نظر إليها أبو عبد الله ، ولا ذاق منها شيئاً ، وكانت نفقة المائدة كل يوم مائةَ وعشرين درهماً ، وكان يحيى بن خاقانَ وابنه عبيد الله وعليّ بن الجهم يأتون أبا عبد الله ، ويختلفون إليه برسالة المتوكل ، ودامت العلة بأبي عبد الله ، وضعف ضعفاً شديداً ، وكان يواصل ، فمكث ثمانية أيام لا يأكل ولا يشرب ، فلما كان في اليوم الثامن دخلتُ عليه ، وقد كاد أن يَطْفأ ، فقلت : يا أبا عبد الله ، ابنُ الزبير كان يواصل سبعةَ أيام ، وهذا لك اليوم ثمانية أيام ، قال : إني مطيق ، قلت : بحقي عليك ؟ قال : فإني أفعل ، فأتيته بسَويق فشرب ، ووجه إليه المتوكل بمال عظيم فردّه ، فقال له عبيد الله بن يحيى : فإن أمير المؤمنين يأمرك أن تدفعها إلى ولدك وأهلك ، قال : هم مستغنون ، فردها عليه ، فأخذها عبيد الله

(١) الزملة ، بضم الزاي وسكون الميم : الرفقة . فالظاهر أن هذا تصغيرها .

فسمها على ولده وأهله ، ثم أجرى المتوكل على أهله وولده أربعة آلاف في كل شهر ، فبعث إليه أبو عبد الله : إنهم في كفاية ، وليست بهم حاجة ، فبعث إليه المتوكل : إنما هذا لولدك ، ما لك ولهذا ؟ فأمسك أبو عبد الله ، فلم يزل يجري علينا حتى مات المتوكل .

وجرى بين أبي عبد الله و بين أبي في ذلك كلام كثير ، وقال : ياعم ، ما بقي من أعمارنا ؟ كأنك بالأمر قد نزل بنا ، فالله الله ، فإن أولادنا إنما يريدون يتأكلون بنا ، و إنما هي أيام قلائل ، لو كشف للعبد عما قد حجب عنه لعرف ما هو عليه من خير أو شر ، صبر قليل ، وثواب طويل ، إنما هذه فتنة ، قال أبي : فقلت : أرجو أن يؤمنك الله مما تحذر ، قال : فكيف وأنتم لا تتركون طعامهم ولا جوائزهم ؟ لو تركتموها لتركوكم ، وقال : ما ننتظر ؟ إنما هو الموت ، فإما إلى جنة ، و إما إلى نار ، فطوبى لمن قدم على خير ، قال أبي : فقلت له : أليس قد أمرتَ ما جاءك من هذا المال من غير مسألة ولا إشراف نفس أن تأخذه ؟ قال : قد أخذتَ مرةً بلا إشراف نفس ، فالثانية والثالثة ! فما بال نفسك ألم تستشرف ؟ فقلتُ : ألم يأخذ ابن عمر وابن عباس ؟ فقال : ما هذا وذاك ! ! وقال : لو أعلم أن هذا المال يؤخذ من وجهه ولا يكون فيه ظلم ولا حيف لم أبال .

قال حنبل : فلما طالت علةُ أبي عبد الله كان المتوكل يبعث بابن ماسويه المُتطبب ، فيصف له الأدوية ، فلا يتعالج ، ويدخل المتطبب على المتوكل ، فقال : يا أمير المؤمنين ، أحمد ليست به علة في بدنه ، إنما هو من قلة الطعام والصيام والعبادة ، فسكت المتوكل .

و بلغ أمَّ المتوكل خبرُ أبي عبد الله ، فقالت لابنها : أشتهي أن أرى هذا الرجل ، فوجّه المتوكل إلى أبي عبد الله يسأله أن يدخل على ابنه المعتز ويسلمَ عليه ويدعوَ له ، ويجعله في حجره ، فامتنع أبو عبد الله من ذلك ، ثم أجاب رجاء أن يُطلَقَ

وينحدر إلى بغداد . فوجّه إليه المتوكلُ خلفَهُ ، وأتوه بدابة يركبها إلى المعتزّ فامتنع ، وكانت عليها مِيثَرَةُ نُمورٍ ، فقُدِّم إليه بغل لرجل من التجار فركبه ، وجلس المتوكل مع أمّه في مجلس من المكان ، وعلى المجلس سِترٌ رقيق ، فدخل أبو عبد الله على المعتزّ ، ونظر إليه المتوكلُ وأمه ، فلما رأته قالت : يا بُنَيّ ، اللهَ اللهَ في هذا الرجل ، فليس هذا ممن يريد ما عندكم ، ولا المصلحة أن تحبسه عن منزله ، فأْذَنْ فليذهب ، فدخل أبو عبد الله على المعتزّ ، فقال : السلام عليكم ، وجلس ولم يسلم عليه بالإمْرَة ، قال : فسمعت أبا عبد الله بعد ذلك ببغداد يقول : لما دخلت عليه وجلست قال مؤدِّب الصبيّ : أصلح الله الأميرَ ، هذا الذي أمره أمير المؤمنين يؤدِّبُك ويعلمك ، فردّ عليه الغلام ، وقال : إن علمني شيئاً تعلمته ! قال أبو عبد الله : فعجبت من ذكائه وجوابه على صغره ، وكان صغيراً .

قال : ودامت علةُ أبي عبد الله ، وبلغ الخليفة ما هو فيه ، وكلّمه يحيى بن خاقان أيضاً ، وأخبره أنه رجل لا يريد الدنيا ، فأذن له في الانصراف ، فجاء عبيد الله بن يحيى وقت العصر ، فقال : إن أمير المؤمنين قد أذن لك ، وأمرَ أن تُفرش لك حَرّاقة تنحدرُ فيها[1] ، فقال : أبو عبد الله : اطلبوا لي زورقاً فأنحدرَ فيه الساعةَ ، فطلبوا له زورقاً فانحدر فيه من ساعته .

قال حنبل : فما علمنا بقدومه ، حتى قيل لي : إنه قد وافى ، فاستقبلته بناحية القطيعة ، وقد خرج من الزورق ، فمشيت معه ، فقال لي تقدمْ لا يراكَ الناسُ فيعرفوني ، فتقدمت بين يديه حتى وصل إلى المنزل ، فلما دخل ألقى نفسه على قفاه من التعب والعَياء .

وكان في حياته ربما استعار الشيءَ من منزلنا ومنزل ولده ، فلما صار إلينا من مال السلطان ما صار ، امتنع من ذلك ، حتى لقد وُصف له في علته قرعةٌ تُشوى ،

---

(١) الحراقة بفتح الحاء وتشديد الراء : السفينة الخفيفة ، وكانت هذه السفن بالبصرة .

ويُؤخذ ماؤها ، فلما جاؤوا بالقرعة ، قال بعض من حضر : اجعلوها في تنُّور ، يعني في دار صالح ، فإنهم قد خبزوا ، فقال بيده : لا . ومثل هذا كثير .

وقد ذكر صالح بن أحمد قصة خروج أبيه إلى العسكر ورجوعه وتفتيش بيوتهم على العلوي ، ثم ورود يعقوب قرقرة ومعه العشرة الآلاف ، وأن بعضها كان مائتي دينار ، والباقي دراهم ، قال : فجئت بإجانة خضراء فأكببتها على البدرة ، فلما كان عند المغرب قال : يا صالح ، خذ هذا صيّره عندك ، فصيرته عند رأسي فوق البيت ، فلما كان سحرٌ إذا هو ينادي : يا صالح ، فقمتُ وصعدت إليه ، فقال : ما نمت ، قلت : لِمَ يا أبه ؟ فجعل يبكي ، وقال : سلمتُ من هؤلاء ، حتى إذا كان في آخر عمري بُليت بهم ، قد عزمت عليك أن تفرّق هذا الشيء إذا أصبحتَ ، فقلت : ذاكَ إليك ، فلما أصبح جاءه الحسن بن البزّار ، فقال : جئني يا صالح بميزان ، وجّهوا إلى أبناء المهاجرين والأنصار ، ثم وجّه إلى فلان حتى يفرق في ناحيته ، وإلى فلان ، حتى فرقها كلّها ، ونحن في حالةٍ اللهُ بها عليم ، فجاءني ابنٌ لي فقال : يا أبَهْ ، أعطني درهماً ، فأخرجت قطعةً فأعطيته ، فكتب صاحبُ البريد : إنه تصدق بالدراهم في يومه حتى تصدق بالكيس ، قال علي بن الجهم : فقلت : يا أمير المؤمنين ، قد تصدق بها وعَلِمَ الناس أنه قد قبل منك ، ما يصنع أحمد بالمال ؟ ! وإنما قوته رغيفٌ ، قال : فقال لي : صدقت يا علي .

قال صالح : ثم أُخرج أبي ليلاً ومعنا حُرّاس معهم النفّاطات ، فلما أصبح وأضاء الفجر قال لي : يا صالح ، معك دراهم ؟ قلت : نعم قال : أعطهم ، فلما أصبحنا جعل يعقوبُ يسير معه ، فقال له : يا أبا عبد الله ، ابن الثلجيّ بلغني أنه كان يذكرك ، فقال له : يا أبا يوسف ، سل الله العافية ، فقال له : يا أبا عبد الله ، تريد أن نؤدّيَ عنك رسالة إلى أمير المؤمنين ؟ فسكت ، فقال : إن عبد الله بن إسحق

أخبرني أن الوابصي[(١)] قال له : إني أشهد عليه أنه قال : إن أحمد يعبدُ ماني ! فقال : يا أبا يوسف ، يكفي اللهُ ، فغضب يعقوب والتفت إليّ فقال : ما رأيت أعجب مما نحن فيه ، أسأله أن يطلق لي كلمة أُخبرُ أمير المؤمنين فلا يفعل ! !

قال : ووجّه يعقوب إلى المتوكل بما عمل ، ودخلنا العسكر ، وأبي منكسُ الرأس ورأسه مغطًى ، فقال له يعقوب : اكشف رأسك يا أبا عبد الله ، فكشفه ، ثم جاء وصيف يريدُ الدارَ ، ووجّه إليه بعد ما جاز بيحيى بن هَرْثَمة فقال : يُقرئك أميرُ المؤمنين السلامَ ، ويقول : الحمد لله الذي لم يشمّتْ بك أهلَ البدع ، قد علمتَ ما كان من حال ابن أبي دؤاد ، فينبغي أن تتكلم بما يجب لله ، ومضى يحيى ، وأُنزل أبي دارَ إيتاخ ، فجاء عليّ بن الجهم وقال : قد أمر لكم أمير المؤمنين بعشرة آلاف مكانَ تلكَ التي فرّقها، وأمر أن لا يُعلم شيخُكم بذلك فيغتمّ ، ثم جاءه محمد بن معاوية فقال : إن أمير المؤمنين يكثر ذكرك ، ويقول : يقيم هبنا يحدّث ، فقال : أنا ضعيف .

ثم صار إليه يحيى بن خاقان فقال : يا أبا عبد الله ، قد أمر أمير المؤمنين أن أصيرَ إليك لتركب إلى ابنه أبي عبد الله ، يعني المعتز ، ثم قال لي : قد أمرني أمير المؤمنين يُجرَى عليك وعلى قراباتك أربعةَ آلاف درهم تفرقها عليهم ، ثم عاد يحيى من الغد فقال : يا أبا عبد الله ، تركب ؟ قال : ذاك إليكم ، ولبس إزاره وخفّه، وكان خفه له عنده نحو من خمسة عشر عاماً ، قد رُقع برقاع عدة ، فأشار يحيى أن يَلبس قلنسوة ، قلت : ما له قلنسوة ، إلى أن قال : فدخل دار المعتز ، وكان قاعداً على دكان في الدار، فلما صعد الدكان قعد، فقال له يحيى : يا أبا عبد الله ، إن أمير المؤمنين جاء بك ليُسَرّ بقربك ويُصيّر أبا عبد الله ابنَه في حجرك ، فأخبرني بعض الخدم

(١) هو عبد السلام بن عبد الرحمن بن صخر ، من ولد وابصة بن معبد ، كان يتولى قضاء بغداد ، مات سنة ٢٤٩ . له ترجمة في تاريخ بغداد ١٤ : ٥٢ – ٥٣ والتهذيب ٦ : ٣٢٢ – ٣٢٣ .

أن المتوكل كان قاعداً وراء سِتْرٍ، فلما دخل أبي الدارَ قال لأمه : يا أُمَّهْ ، قد نارت الدار ، ثم جاء خادم بمنديل ، فأخذ يحيى المنديل ، وذكر قصةً في إلباسه القميص والطيلسان والقلنسوة ، وهو لا يحرك يده ، ثم انصرف .

• وكانوا قد تحدثوا أنه يخلع عليه سواداً ، فلما صار إلى الدار نزع الثياب ، ثم جعل يبكي ، فقال : سلمتُ من هؤلاء منذ ستين سنةً ، حتى إذا كان في آخر عمري بُليت بهم ! ما أحسبني سلمتُ من دخولي على هذا الغلام ، فكيف بمن يجب عليَّ نصحُه من وقت تقع عيني عليه إلى أن أخرج من عنده ؟! يا صالح ، وجّه بهذه الثياب إلى بغداد تباع ويتصدق بثمنها ، ولا يشتري أحد منكم منها شيئاً ، فوجهت بها إلى يعقوب بن بُختان[1] فباعها وفرق ثمنها ، وبقيت عندي القلنسوة .

قال : ومكث خمسة عشر يوماً يفطر في كل ثلاث على ثُمُن سَوِيق ، ثم جعل بعد ذلك يفطر ليلةً على رغيف وليلةً لا يفطر ، وكان إذا جيء بالمائدة توضع بالدِّهليز لئلاّ يراها ، فيأكلُ من حضر ، فكان إذا أجهدَه الحرُّ بَلَّ خرقةً فيضعُها على صدره ، وفي كل يوم يوجّه إليه بابن ماسَوَيْه ، فينظر إليه ويقول : يا أبا عبد الله ، أنا أميلُ إليك وإلى أصحابك ، وما بك عِلة إلاّ الضعف وقلةُ الرِّزّ[2] .

إلى أن قال : وجعل يعقوب وغِياث يصيران إليه ، ويقولان له : يقول لك أمير المؤمنين : ما تقول في ابن أبي دؤادٍ وفي ماله ؟ فلايجيب في ذلك بشيء ، وجعل يعقوبُ ويحيى يخبراه[3] بما يحدث في أمر ابن أبي دؤاد في كل يوم ، ثم أحدر إلى

---

(١) هو يعقوب بن إسحق بن بختان ، نسب هنا إلى جده ، وهو من أصحاب أحمد ، وكان أحد الصالحين الثقات ، له ترجمة في طبقات الحنابلة لابن أبي يعلى ٢٧٦ وتاريخ بغداد ١٤ : ٢٨٠ .

(٢) الرز ، بكسر الراء وتشديد الزاي : غمز الحدث وحركته في البطن للخروج حتى يحتاج صاحبه إلى دخول الخلاء .

(٣) كذا في الأصل ، وله وجه .

بغداد بعد ما أُشهد عليه ببيع ضِياعه. وكان ربما صار إليه يحيى بن خاقان وهو يصلي ، فيجلس في الدهليز حتى يفرغ .

وأمر المتوكلُ أن يُشترى لنا دار ، فقال : يا صالح ! قلت : لبيك ، قال : لئن أقررتَ لهم بشراء دار لتكونَنَّ القطيعةُ بيني وبينكم ، إنما يريدون أن يصيّروا هذا البلدَ لي مأوًى ومسكناً ، فلم نزل ندْفع شراء الدار حتى اندفع .

وجَعَلتْ رسل المتوكل تأتيه يسألونه عن خبره ، ويصيرون إليه فيقولون : هو ضعيف ، وفي خلال ذلك يقولون : يا أبا عبد الله ، لا بد من أن يراك ، وجاءه يعقوب فقال : يا أبا عبد الله ، أمير المؤمنين مشتاق إليك ويقول : انظرْ يوماً تَصير فيه أي يوم هو حتى أعرفه ؟ فقال : ذاك إليكم ، فقال : يوم الأربعاء يومٌ خالي ، وخرج يعقوب ، فلما كان من الغد جاء فقال : البشرى يا أبا عبد الله ، أميرُ المؤمنين يقرأ عليك السلام ويقول : قد أعفيتُك عن لبس السواد والركوب إلى ولاة العهود وإلى الدار ، فإن شئتَ فالبس القطن ، وإن شئت فالبس الصوف ، فجعل يحمد الله على ذلك .

ثم قال يعقوب : إن لي ابناً وأنا به مُعْجَب ، وإن له من قلبي موقعاً ، فأحبُّ أن تحدِّثه بأحاديثَ ، فسكت ، فلما خرج قال : أتُراه لا يرى ما أنا فيه !

وكان يختم من جمعة إلى جمعة ، وإذا ختم دعا ، فيدعو ونؤمّن ، فلما كان غداة الجمعة وجّه إلي وإلى أخي ، فلما ختم جعل يدعو ونحن نؤمّن ، فلما فرغ جعل يقول : أستخيرُ الله ، مرات ، فجعلت أقول : ما يريد ؟ ثم قال : إني أعطي اللهَ عهداً إن عهده كان مسؤولاً ، وقال الله تعالى (يأيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود) أني لا أحدِّث حديثَ تمام أبداً حتى ألقى الله ، ولا أستثنى منكم أحداً ، فخرجنا وجاء عليّ بن الجهم فأخبرناه ، فقال : إنا لله وإنا إليه راجعون ، وأخبر المتوكل بذلك ، وقال : إنما يريدون أُحدِّثُ ويكون هذا البلد حبْسِي ، وإنما كان سبب الذين

أقاموا بهذا البلد لما أعطوا فقبلوا وأمروا فحدثوا . وجعل أبي يقول : والله لقد تمنيت الموت في الأمر الذي كان ، وإني لأتمنى الموت في هذا ، وذلك أن هذا فتنة الدنيا ، وذلك كان فتنة الدين ، ثم جعل يضم أصابع يده ويقول : لو كانت نفسي في يدي لأرسلتها ، ثم يفتح أصابعه .

وكان المتوكل يوجه في كل وقت يسأله عن حاله . وكان في خلال ذلك يأمر لنا بالمال ، ويقول : يوصل إليهم ولا يعلم شيخهم فيغتم ، ما يريد منهم ؟ إن كان هو لا يريد الدنيا فلم يمنعهم ؟ !

وقالوا للمتوكل : إنه لا يأكل من طعامك ، ولا يجلس على فراشك ، ويحرم الذي تشرب ! فقال لهم : لو نشر المعتصم . وقال فيه شيئاً لم أقبل منه .

قال صالح : ثم انحدرت إلى بغداد ، وخلفت عبد الله عنده ، فإذا عبدُ الله قد قدم وجاء بثيابي التي كانت عنده ، فقلت : ما جاء بك ؟ فقال : قال لي انحدر ، وقل لصالح : لا تخرج فأنتم كنتم آفتي ، والله لو استقبلت من أمري ما استدبرت ما أخرجت واحداً منكم معي ، لولاكم لمن كانت توضع هذه المائدة ؟ ولمن كانت تفرش هذه الفرش ، وتجري الأمراء ؟ ! فكتبت إليه أعلمه ما قال لي عبدُ الله ، فكتب إليَّ بخطه : « أحسن الله عاقبتك ، ودفع عنك كل مكروه ومحذور ، الذي حملني على الكتاب إليك الذي قلتُ لعبد الله لا يأتيني منكم أحد رجاء أن ينقطع ذكري ويخمد ، إذا كنتم ههنا فشا ذكري ، وكان يجتمع إليكم قوم ينقلون أخبارنا ، ولم يكن إلا خير ، فإن أقمت فلم تأتني أنت ولا أخوك فهو رضائي ، ولا تجعل في نفسك إلا خيراً ، والسلام عليك ورحمة الله » .

قال : ولما خرجنا من العسكر رفعت المائدة والفرش ، وكل ما أقيم لنا ، ثم ذكر صالح كتاب وصيته .

ثم قال : وبعث إليه المتوكل بألف دينار ليقسمها ، فجاء علي بن الجهم في

جوف الليل ، فأخبره بأنه يهيئ له حرَّاقة ينحدر فيها ، ثم جاء عبيد الله ومعه ألف دينار ، فقال : إن أمير المؤمنين قد أذنَ لك ، وقد أمر لك بهذه ، فقال : قد أعفاني أمير المؤمنين مما أكره ، فردَّها وقال : أنا رقيق على البرد والظهر ، أرفق بي فكُتب له جواز ، وكَتب إلى محمد بن عبد الله في بره وتعاهده ، فقدم علينا .

ثم قال بعد قليل : يا صالح ، قلت : لبيك ، قال : أحبُّ أن تدع هذا الرزق ، فإنما تأخذونه بسببي ، فسكت ، فقال : مالك؟ قلت : أكره أن أعطيك شيئاً بلساني وأخالف إلى غيره ، وليس في القوم أكثرُ عيالاً مني ولا أعذر ، وقد كنت أشكو إليك ، وتقول أمرك منعقد بأمري ، ولعل الله أن يحل عني هذه العقدة ، وقد كنت تدعو لي ، فأرجو أن يكون الله قد استجاب لك ، فقال : والله لا تفعل ، فقلت : لا ، فقال : لم ؟ فعَل الله بك وفعَل !

ثم ذكر قصةً في دخول عبد الله عليه وقوله له وجوابه له ، ثم دخول عمه عليه وإنكاره للأخذ ، إلى أن قال : فهجرَنا ، وسدَّ الأبواب بيننا وبينه ، وتحامَى منازلنا أن يدخل منا إلى منزله شيء ، ثم أخبر بأخذ عمه ، فقال : نافقتني وكذَبتني ، ثم هجره ، وترك الصلاة في المسجد وخرج إلى مسجد خارج يصلي فيه .

ثم ذكر قصةً في دعائه صالحاً ومساتبته في ذلك ، ثم في كتبته إلى يحيى بن خاقان ليترك معونةَ أولاده ، وبلوغ الخبر إلى المتوكل ، فأمر بحمل ما اجتمع لهم في عشرة أشهر ، وهو أربعون ألف درهم ، إليهم ، وأنه أُخبر بذلك ، فسكت قليلاً ، وضرب بذقنه على صدره ، ثم رفع رأسه ، فقال : ما حيلتي أن أردتُ أمراً وأراد الله أمراً .

قال أبو الفضل صالح : وكان رسول المتوكل يأتي أبي يبلغه السلام ويسأله عن حاله ، فتأخذه نفضة حتى نُدثّره ، ثم يقول : والله لو أن نفسي في يدي لأرسلتها .

وجاء رسول المتوكل إلى أبي يقول : لو سلِمَ أحد من الناس سلمتَ ، رَفع رجل إليّ أن علوياً قدم من خراسان ، وأنك وجهت إليه من يلقاه ، وقد حبستُ الرجل

وأردت ضربه ، فكرهت أن تنتشر فيه ، قال : هذا باطل ، يخلى سبيله ،

ثم ذكر قصة في قدوم المتوكل بغداد ، وإشارته على صالح بأن لا يذهب إليهم ، ثم في مجيء يحيى بن خاقان من عند المتوكل ، وما كان من احترامه ومجيئه بألف دينار فيفرقها ، وقوله : قد أعفاني أمير المؤمنين من كل ما أكره ، وفي توجيه محمد بن عبد الله بن طاهر إليه ليحضره ، وامتناعه من حضوره ، وقوله : أنا رجل لم أخالط السلطان ، وقد أعفاني أمير المؤمنين مما أكره .

قال : وكان قد أدمن الصوم لما قدم ، وجعل لا يأكل الدسم ، وكان قبل ذلك يُشترى له الشحم بدرهم فيأكل منه شهراً !! فترك أكل الشحم وأدمن الصوم والعمل ، فتوهمت أنه قد كان جعل على نفسه إن سلم يفعل ذلك .

وقال الخلال أبو بكر : حدثني محمد بن الحسين أن أبا بكر المروذي حدثهم : كان أبو عبد الله بالعسكر يقول : انظر هل تجد لي ماء الباقلا ؟ فكنت ربما بللت خبزة بالماء فيأكلها بالملح ، وربما أنه منذ دخلنا العسكر إلى أن خرجنا ما ذاق طبيخاً ولا دسماً .

وعن المروذي قال : أنبهني أبو عبد الله ذات ليلة ، وكان قد واصل ، فإذا هو قاعد ، فقال : هو ذا يُدَارُ بي من الجوع ، فأطعمني شيئاً ، فجئته بأقل من رغيف فأكله ، قال : لولا أني أخاف العون على نفسي ما أكلت . وكان يقوم من فراشه إلى المخرج ، فيقعد يستريح من الضعف من الجوع ، وحتى إن كنت لأبل الخرقة فيلقها على وجهه ، لترجع إليه نفسه ، حتى أوصى من الضعف من غير مرض ، فسمعته يقول عند وصيته ، ونحن بالعسكر ، وأشهدَ على وصيته : « هذا ما أوصى به أحمد بن محمد ، أوصى أنه يشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأن محمداً عبده ورسوله » ، وذكر ما يأتي :

قال عبد الله بن أحمد بن حنبل : مكث أبي بالعسكر عند الخليفة ستة عشر

يوما ، ما ذاق شيئاً إلا مقدار ربع سويق ، ورأيت ما في عينيه قد دخلا في حدقتيه.

وقال صالح بن أحمد : وأوصى أبي بالعسكر هذه الوصية :

« بسم الله الرحمن الرحيم : هذا ما أوصى به أحمد بن محمد بن حنبل ، أوصى أنه يشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأن محمداً عبده ورسوله . أرسله بالهدى ودين الحق ، ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون ، وأوصى من أطاعه من أهله وقرابته أن يعبدوا الله في العابدين ، و يحمدوه في الحامدين ، وأن ينصحوا لجماعة المسلمين ، وأوصى أني قد رضيتُ بالله ربّاً و بالإسلام ديناً و بمحمد نبيّاً ، وأوصى أن لعبد الله بن محمد المعروف بفُوارن عليّ نحواً من خمسين ديناراً ، وهو مصدَّق فيما قال ، فيُقْضَى ماله عليّ من غلة الدار إن شاء الله تعالى ، فإذا استوفى أُعطي ولدُ صالحٍ وعبد الله ابنَيْ أحمد بن محمد بن حنبل ، كلُّ ذكر وأنثى عشرة دراهم ، بعد وفاء مال أبي محمد ، شهد أبو يوسف وصالح وعبد الله ابنا أحمد».

أُنبئتُ عمن سمع أبا علي الحداد أخبرنا أبو نُعيم في الحلية[1] حدثنا سليمان بن أحمد حدثنا عبد الله بن أحمد بن حنبل قال : كتب عُبيد الله بن يحيى إلى أبي يخبره أن أمير المؤمنين أمرني أن أكتب إليك أسألك عن أمر القرآن ، لا مسألة امتحان ، ولكن مسألة معرفة وتبصرة . فأملى عليّ أبي رحمه الله إلى عبيد الله بن يحيى ، وحدي ما معي أحد :

« بسم الله الرحمن الرحيم ، أحسن الله عاقبتك أبا الحسن في الأمور كلها، ودفع عنك مكاره الدنيا والآخرة برحمته . قد كتبتُ إليك رضي الله عنك بالذي سأل عنه أمير المؤمنين بأمر القرآن ، بما حضرني ، وإني أسأل الله أن يديم توفيق أمير المؤمنين ، فقد كان الناس في خوض من الباطل واختلاف شديد ينغمسون فيه ،

(١) هي بنصها في الحلية لأبي نعيم ٩: ٢١٦ — ٢١٩، ورواها ابن الجوزي في مناقب أحمد ٣٧٧ — ٣٧٩ بإسناده لأبي نعيم، ولكنه اختصرها ، ولم يسق نصها كاملاً .

حتى أفضت الخلافة إلى أمير المؤمنين ، فنفى الله بأمير المؤمنين كلّ بدعة ، وانجلى عن الناس ما كانوا فيه من الذل وضيق المحابس[١] ، فصرف الله ذلك كله ، وذهب به بأمير المؤمنين ، ووقع ذلك من المسلمين موقعاً عظيماً ، ودعوا الله لأمير المؤمنين ، [وأسأل الله أن يستجيب في أمير المؤمنين صالح الدعاء ، وأن يتم ذلك لأمير المؤمنين[٢]] ، وأن يزيد في نيته ، وأن يعينه على ما هو عليه ، فقد ذكر عن عبدالله بن عباس أنه قال : لا تضربوا كتاب الله بعضه ببعض ، فإن ذلك يوقع الشك في قلوبكم ، وذكر عن عبد الله بن عمرو أن نفراً كانوا جلوساً بباب النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال بعضهم : ألم يقل الله كذا ؟ وقال بعضهم : ألم يقل الله كذا ؟ فسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم فخرج كأنما فقىء في وجهه حب الرمان ، فقال : بهذا أمرتم ، أن تضربوا كتاب الله بعضه ببعض ؟ إنما ضلت الأمم قبلكم في مثل هذا ، إنكم لستم مما ههنا في شيء ، انظروا الذي أمرتم به فاعملوا به ، وانظروا الذي نهيتم عنه فانتهوا عنه . وروي عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه قال : مراء في القرآن كفر. وروي عن أبي جهيم ، رجل من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : لا تماروا في القرآن ، فإن مراء فيه كفر. وقال ابن عباس : قدم على عمر بن الخطاب رجل ، فجعل عمر يسأله عن الناس ، فقال : يا أمير المؤمنين ، قد قرأ القرآن منهم كذا وكذا ، فقال ابن عباس : فقلت : والله ما أحب أن يتسارعوا يومهم هذا في القرآن هذه المسارعة ، قال : فزبرني عمر ، وقال : مَهْ ، فانطلقت إلى منزلي مكتئباً حزيناً ، فبينا أنا كذلك إذ أتاني رجل فقال : أجب أمير المؤمنين ، فخرجت فإذا هو بالباب ينتظرني ، فأخذ بيدي فخلا بي ، فقال : ما الذي كرهت ؟ قلت : يا أمير المؤمنين ، متى يتسارعوا هذه المسارعة يحتقّوا[٣] ، ومتى ما يحتقّوا

---

(١) في الحلية « وضيق المجالس » وما هنا موافق لابن الجوزي .

(٢) الزيادة من الحلية وابن الجوزي ، وهي مهمة لتمام الكلام .

(٣) يحتقوا : يقول كل منهم : الحق في يدي ومعي .

يختصموا ، ومتى ما يختصموا يختلفوا ، ومتى ما يختلفوا يقتتلوا ، قال : لله أبوك ! والله إن كنتُ لأُكتمها الناسَ حتى جئتَ بها . ورُوي عن جابر قال : كان النبي صلى الله عليه يعرض نفسه على الناس بالموقف فيقول : هل من رجل يحملني إلى قومه ، فإن قريشاً قد منعوني أن أبلغ كلام ربي . ورُوي عن جُبَير بن نُفَير قال رسول الله صلى الله عليه : إنكم لن ترجعوا إلى الله بشيء أفضلَ مما خرج منه ؟ يعني القرآن . وروي عن ابن مسعود أنه قال : جردوا القرآن ولا تكتبوا فيه شيئاً إلا كلام الله عز وجل . ورُوي عن عمر بن الخطاب أنه قال : إن هذا القرآن كلام الله ، فضعوه مواضعه . وقال رجل للحسن البصري : يا أبا سعيد ، إني إذا قرأت كتاب الله وتدبرته كدت أن آيس[1] وينقطع رجائي ، فقال : إن القرآن كلام الله ، وأعمال ابن آدم إلى الضعف والتقصير ، فاعمل وأبشر . وقال فروة بن نوفل الأشجعي : كنت جاراً لخبّاب ، وهو من أصحاب النبي صلى الله عليه ، فخرجت معه يوماً من المسجد وهو آخذ بيدي ، فقال : يا هَنَاه ، تقرب إلى الله بما استطعتَ ، فإنك لن تتقرب إليه بشيء أحبَّ إليه من كلامه . وقال رجل للحكم بن عُتيبة : ما حمل أهل الأهواء على هذا ؟ قال : الخصومات . وقال معاوية بن قُرّة ، وكان أبوه ممن أتى النبي صلى الله عليه : إياكم وهذه الخصومات ، فإنها تحبط الأعمال . وقال أبو قِلَابة ، وكان قد أدرك غير واحد من أصحاب رسول الله صلى الله عليه : لا تجالسوا أهل الأهواء ، أو قال : أصحاب الخصومات ، فإنه لا آمن أن يغمسوكم في ضلالتهم ، ويلبسوا عليكم بعضَ ما تعرفون . ودخل رجلان من أصحاب الأهواء على محمد بن سيرين ، فقالا : يا أبا بكر ، نحدثك بحديث ؟ قال : لا ، قالا : فنقرأ عليك آية قال : لا ، لتقومانِّ عني أو

---

(١) في اللسان : « قال الجوهري : أيست منه آيس يأساً : لغة في يئست منه أيأس يأساً ، ومصدرهما واحد » . ونقل أيضاً عن ابن سيدة قال : «أيست من الشيء مقلوب عن يئست ، وليس بلغة فيه » .

لأقومنَّ ، فقاما، فقال بعض القوم : يا أبا بكر ، وما عليك أن يقرأي[١] عليك آية ؟
قال : إني خشيت أن يقرآ علي آية فيحرفانها ، فيقرّ ذلك في قلبي ، ولو أعلم أني أكون
مثلي الساعة لتركتهما. وقال رجل من أهل البدع لأيوب السَّخْتياني : يا أبا بكر ،
أسألك عن كلمة ؟ فولّى وهو يقول بيده : ولا نصف كلمة . وقال ابن طاوس لابن له
يكلمه رجل من أهل البدع : يا بني ، أدخل أصبعيك في أذنيك ، حتى لا تسمع
ما يقول ، ثم قال : اشددْ اشددْ . وقال عمر بن عبد العزيز : من جعل دينه
غرضٌ[٢] للخصومات أكثر التنقل . وقال إبرهيم النخعي : إن القوم لم يُدَّخر عنهم
شيء خُبِّيَ لكم لفضل عندكم . وكان الحسن رحمه الله يقول : شرّ داء خالط قلباً ،
يعني الأهواء . وقال حذيفة بن اليمان : اتقوا الله وخذوا طريق من كان قبلكم ،
والله لئن استقمتم لقد سبقتم سبقاً بعيداً ، ولئن تركتموه يميناً وشمالاً لقد ضللتم ضلالاً
بعيداً ، أو قال : مبيناً . قال أبي : وإنما تركت ذكر الأسانيد لما تقدم من اليمين
التي قد حلفتُ بها مما قد علمه أمير المؤمنين ، لولا ذاك ذكرتُها بأسانيدها . وقد
قال الله تعالى : (وإن أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله) .
وقال : (ألا له الخلق والأمر) فأخبر بالخلق ، ثم قال (والأمر) ، فأخبر أن الأمر
غير الخلق . وقال عز وجل : (الرحمن . علم القرآن . خلق الإنسان علمه البيان) ،
فأخبر أن القرآن من علمه . وقال تعالى : (ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى
تتبع ملتهم ، قل إن هدى الله هو الهدى ، ولئن اتبعت أهواءهم بعد الذي جاءك
من العلم ما لك من الله من وليّ ولا نصير) . وقال : (ولئن أتيت الذين أوتوا
الكتاب بكل آية ما تبعوا قبلتك ، وما أنت بتابع قبلتهم ، وما بعضهم بتابع قبلة

---

(١) كذا في الأصل . وفي الحلية « أن يقرآ »

(٢) كذا بالأصل ، رسم المنصوب المنون بغير ألف كرسم المرفوع ، وهو جائز ، انظر أمثلة لذلك في رسالة الشافعي بتحقيقنا وشرحنا ، أشرنا إلى مواضعها هناك في صفحة ٦٦١ من فهارسها .

بعض ، ولئن اتبعت أهواءهم من بعد ما جاءك من العلم ، إنك إذاً لمن الظالمين) .
وقال تعالى : (وكذلك أنزلناه حكماً عربياً ، ولئن اتبعت أهواءهم بعد ما جاءك من العلم ما لك من الله من ولي ولا واق) . فالقرآن من علم الله ، وفي هذه الآيات دليل على أن الذي جاءه هو القرآن ، لقوله (ولئن اتبعت أهواءهم بعد الذي جاءك من العلم) . وقد رُوي عن غير واحد ممن مضى من سلفنا أنهم كانوا يقولون : القرآن كلام الله غير مخلوق ، وهو الذي أذهب إليه ، لستُ بصاحب كلام ، ولا أرى الكلام في شيء من هذا ، إلا ما كان في كتاب الله ، أو في حديث عن النبي صلى الله عليه وسلم ، أو عن أصحابه ، أو عن التابعين ، فأما غير ذلك فإن الكلام فيه غير محمود » .

قلت : رواةُ هذه الرسالة عن أحمد أئمةٌ أثبات ، أشهد بالله أنه أملاها على ولده ، وأما غيرها من الرسائل المنسوبة إليه ، كرسالة الإصطخري ، ففيها نظر ، والله أعلم .

ذكر مرضه رحمه الله

قال ابنه عبد الله : سمعت أبي يقول : استكملتُ سبعاً وسبعين سنةً . فحُمَّ من ليلته ومات يوم العاشر .

وقال صالح : لما كان في أول يوم من ربيع الأول من سنة إحدى وأربعين ومائتين حُمَّ أبي ليلة الأربعاء ، وبات وهو محموم ، يتنفس تنفساً شديداً ، وكنت قد عرفت علته ، وكنت أمرّضه إذا اعتلّ ، فقلت له : يا أبت ، على ما أفطرتَ البارحة ؟ قال : على ماء باقلاّ ، ثم أراد القيام فقال : خذ بيدي فأخذت بيده ، فلما صار إلى الخلاء ضعفت رجلاه حتى توكأ عليّ ، وكان يختلف إليه غيرُ متطبّب ، كلهم مسلمون ، فوصف له متطبّب قرعة تُشوى ويُسقى ماءها — وهذا يوم الثلاثاء

فتوفي يوم الجمعة — فقال : يا صالح ، قلت : لبيك ، قال : لا تُشوى في منزلك ولا في منزل أخيك ، وصار الفتح بن سهل إلى الباب ليعوده ، فحجبه ، وأتى ابنُ علي بن الجعد فحجبه ، وكثر الناس ، فقال : أي شيء ترى ؟ قلت : تأذن لهم فيدعون لك ، قال : أستخير الله تعالى ، فجعلوا يدخلون عليه أفواجاً حتى تمتلئ الدار ، فيسألونه و يدعون له ، ثم يخرجون ويدخل فوج آخر ، وكثر الناس ، وامتلأ الشارع ، وأغلقنا باب الزقاق ، وجاء رجل من جيراننا قد خضب ، فقال أبي : إني لأرى الرجل يحيي شيئاً من السنة فأفرَحُ به ، [فدخل فجعل يدعو له ، فجعل يقول : له ولجميع المسلمين ، وجاء رجل فقال : تلطف لي بالإذن عليه ، فإني قد حضرتُ ضربه يوم الدار ، وأريد أن أستحله ، فقلت له ، فأمسك ، فلم أزل به حتى قال : أدخله ، فأدخلته ، فقام بين يديه وجعل يبكي ، وقال : يا أبا عبد الله ، أنا كنتُ ممن حضر ضربك يوم الدار ، وقد أتيتكَ ، فإن أحببتَ القصاص فأنا بين يديك ، وإن رأيتَ أن تحلني فعلتَ ، فقال : على أن لا تعود لمثل ذلك ؟ قال : نعم ، قال : فإني قد جعلتك في حل ، فخرج يبكي ، وبكى من حضر من الناس] (١) ، وكان له في خُرَيقة قُطيعاتٌ ، فإذا أراد الشيء أعطينا من يشتري له ، وقال لي يوم الثلاثاء : انظر في خُرَيقتي شيء ، فنظرت فإذا فيها درهم ، فقال : وجِّه اقتضِ بعضَ السكان ، فوجهتُ فأعطيت شيئاً ، فقال : وجِّه فاشتر تمراً وكفِّر عني كفارةَ يمين ، وبقي ثلاثةُ دراهم ، أو نحو ذلك ، فأخبرته ، فقال : الحمد لله ، وقال : اقرأ عليّ الوصية ، فقرأتها عليه ، فأقرها ، وكنت أنام إلى جنبه ، فإذا أراد حاجةً حركني فأناوله ، وجعل يحرك لسانه ، ولم يَئِنَّ إلا في الليلة التي توفي فيها ، ولم يزل يصلي قاعداً أمسكه ، فيركع ويسجد ، وأرفعه في ركوعه ، واجتمعتْ عليه أوجاع الحصر ، وغير ذلك ، ولم يزل عقله ثابتاً ، فلما كان يوم الجمعة لاثنتي عشرة ليلة خلت من ربيع الأول ، لساعتين من النهار ، تُوُفي .

---

(١) الزيادة من ابن الجوزي ٤٠٣ .

وقال المرّوذي : مرض أبو عبد الله ليلة الأربعاء لليلتين خلتا من ربيع الأول ، ومرض تسعة أيام ، وكان ربما أذن للناس فيدخلون عليه أفواجاً ، يسلمون عليه ويرد عليهم بيده ، وتسامع الناس وكثروا ، وسمع السلطان بكثرة الناس ، فوكل السلطان ببابه وبباب الزقاق الرابطة وأصحاب الأخبار ، ثم أغلق باب الزقاق ، فكان الناس في الشوارع والمساجد ، حتى تعطل بعض الباعة ، وحيل بينهم وبين البيع والشراء ، وكان الرجل إذا أراد أن يدخل إليه ربما دخل من بعض الدور وطُرَز الحاكة[1] ، وربما تسلق ، وجاء أصحاب الأخبار فقعدوا على الأبواب ، وجاءه حاجبُ ابن طاهر فقال : إن الأمير يقرئك السلام ، وهو يشتهي أن يراك ، فقال : هذا مما أكرهُ ، وأميرُ المؤمنين أعفاني مما أكره ، وأصحاب الخير يكتبون بخبره إلى العسكر ، والبُرُد تختلف كل يوم ، وجاء بنو هاشم فدخلوا عليه ، وجعلوا يبكون عليه ، وجاء قوم من القضاة وغيرهم ، فلم يؤذن لهم ، ودخل عليه شيخ فقال : اذكر وقوفك بين يدي الله ، فشهق أبو عبد الله ، وسالت الدموع على خديه ، فلما كان قبل وفاته بيوم أو يومين قال : ادعوا لي الصبيان ، بلسان ثقيل ، فجعلوا ينضمون إليه ، وجعل يشمهم ويمسح بيده على رؤوسهم ، وعينه تدمع ، [فقال له رجل : لا تغتم لهم يا أبا عبد الله ، فأشار بيده ، فظننا أن معناه : أني لم أرد هذا المعنى ، وكان يصلي قاعداً ، ويصلي وهو مضطجع ، لايكاد يفتر ، ويرفع يديه في إيماء الركوع][2] ، وأدخلت الطست تحته فرأيت بوله دماً عبيطاً ليس فيه بول ، فقلت للطبيب ، فقال : هذا رجل قد فتت الحزن والغم جوفه ، واشتدت عليه[3] يوم الخميس ، ووضأته ،

---

(١) كذا في الأصل ، والظاهر أنه يريد أطراف مصانعهم ، فإن « طرة » كل شيء طرفه ، وجمعها « طرر » بضم الطاء وفتح الراء الأولى . وفي ابن الجوزي ٤٠٤ « طرز » بالزاي في آخره ، ولم أجد لها وجهاً .

(٢) الزيادة من ابن الجوزي ٤٠٦ .

(٣) كذا بالأصل ، يريد : اشتدت عليه علته . وفي ابن الجوزي ٤٠٦ : « واشتدت به العلة » .

فقال : خلل الأصابع ، فلما كانت ليلة الجمعة ثقل ، وقبض صدر النهار ، فصاح الناس ، وعلت الأصوات بالبكاء ، حتى كأن الدنيا قد ارتجت ، وامتلأت السكك والشوارع .

وقال أبو بكر الخلال : أخبرني عصمة بن عصام حدثنا حنبل قال : أعطى بعض ولد الفضل بن الربيع أبا عبدالله وهو في الحبس ثلاث شعرات ، فقال : هذه من شعر النبي صلى الله عليه ، فأوصى عند موته أن يجعل على كل عين شعرة ، وشعرة على لسانه ، ففعل به ذلك عند موته .

وقال حنبل : توفي يوم الجمعة في ربيع الأول .

وقال مُطَيَّنٌ[١] : في ثاني عشر ربيع الأول . وكذلك قال عبد الله بن أحمد وعباس الدُّوري .

وقال البخاري : مرض أحمد بن حنبل لليلتين خلتا من ربيع الأول ، ومات يوم الجمعة لاثنتي عشرة[٢] خلت من ربيع الأول .

قلت : غلط ابنُ قانع وغيره فقالوا : في ربيع الآخر . فليعرف ذلك .

وقال الخلال : حدثنا المرّوذي قال : أخرجت الجنازة بعد منصرف الناس من الجمعة .

قلت : وقد روى الإمام أحمد في مسنده : حدثنا أبو عامر حدثنا هشام بن سعد عن سعيد بن أبي هلال عن ربيعة بن سيف عن عبد الله بن عمرو عن النبي صلى الله عليه قال : ما من مسلم يموت يوم الجمعة إلا وقاه الله فتنة القبر[٣]

(١) « مطين » بضم الميم وفتح الطاء وتشديد الياء المفتوحة : لقب « محمد بن عبد الله بن سليمان الحضرمي الحافظ » انظر المشتبه للذهبي ٤٨٨ وشرح القاموس ٩ : ٢٧٠ وطبقات الحنابلة ٢١٧ وتذكرة الحفاظ ٢ : ٢١٠ — ٢١١ .

(٢) في الأصل « لاثني عشرة » .

(٣) سيأتي في المسند برقم ٦٥٨٢ .

وقال صالح : وجّه ابنُ طاهر ، يعني نائبَ بغداد ، بحاجبه مظفّر ومعه غلامين[1] معهما مناديل فيها ثياب وطيب ، فقالوا : الأمير يقرئك السلام ويقول : قد فعلتُ ما لو كان أميرُ المؤمنين حاضرَه كان يفعل ذلك ، فقلت : أقرئْ الأمير السلام ، وقل له : إن أمير المؤمنين قد كان أعفاه في حياته مما كان يكره ، ولا أحب أن أُتبِعَه بعد موته بما كان يكرهه في حياته ، فعاد وقال : يكون شِعارَه ، فأعدتُ عليه مثل ذلك . وقد كان غَزَلت له الجارية ثوباً عُشاريًّا قُوِّم بثمانية وعشرين درهماً ليَقْطَع منه قميصين ، فقطعنا له لفافتين ، وأخذ منه فوران لفافةً أخرى[2] ، فأدرجناه في ثلاث لفائف ، واشترينا له حَنُوطاً ، وفُرِغ من غسله ، وكفّناه ، وحضر نحوُ مائةٍ من بني هاشم ونحن نكفّنه ، وجعلوا يقبلون جبهته حتى رفعناه على السرير .

وقال عبد الله بن أحمد : صلى على أبي محمدُ بن عبد الله بن طاهر ، غلبَنا على الصلاة عليه ، وقد كنا صلينا عليه نحن والهاشميون في الدار .

وقال صالح : وجه ابن طاهر : من يصلّي عليه ؟ قلت : أنا ، فلما صرنا إلى الصحراء إذا ابنُ طاهر واقف ، فخطا إلينا خطوات ، وعزّانا ، ووُضع السرير ، فلما انتظرت هُنَيَّةً تقدمتُ وجعلتُ أسوّي صفوفَ الناس ، فجاءني ابن طاهر ، فقبض هذا على يدي ، ومحمد بن نصر على[3] يدي ، وقالوا : الأمير ! فمانعتهم ، فنحّياني وصلّى ، ولم يعلم الناسُ بذلك ، فلما كان من الغد علم الناسُ فجعلوا يجيؤون ويصلون على القبر ، ومكث الناس ما شاء الله يأتون فيصلون على القبر .

---

(١) كذا في الأصل « غلامين » .

(٢) كذا بالأصل ، وفي ابن الجوزي ٤١٢ « وأخذنا من فوران لفافة أخرى » وهو الصواب

(٣) كذا بالأصل ، وهو غير واضح ، ولعل فيه خطأ ، وفي ابن الجوزي ٤١٤ : « فجاءني ابن طالوت ومحمد ، فقبض هذا على يدي ، وهذا على يدي » .

وقال عُبيد الله بن يحيى بن خاقان : سمعت المتوكل يقول لمحمد بن عبد الله : طوبى لك يا محمد ، صليتَ على أحمد بن حنبل رحمتُ الله عليه .

وقال أبو بكر الخلال : سمعت عبد الوهاب الورّاق يقول : ما بلغنا أن جمعاً في الجاهلية والإسلام مثلُه ، حتى بلغَنا أن الموضع مُسح وحُزر على الصحيح ، فإذا هو نحو من ألف ألفٍ ، وحزَرنا على القبور نحواً من ستين ألف امرأة ، وفتح الناس أبوابَ المنازل في الشوارع والدروب ، ينادون من أراد الوضوء .

وروى عبد الله بن إسحق البغوي : أن بُنَانَ بن أحمد القصباني أخبره أنه حضر جنازة أحمد ، فكانت الصفوف من الميدان إلى قنطرة باب القطيعة ، وحزر من حضرها من الرجال ثمان مائة ألف ، ومن النساء ستين ألف امرأة ، ونظروا فيمن صلى العصر في مسجد الرصافة ، فكانوا نيفاً وعشرين ألفاً .

وقال موسى بن هرون الحافظ : يقال إن أحمد لما مات مُسِحَت الأمكنة المبسوطة التي وقف الناس للصلاة عليها ، فحُزِر مقاديرُ الناس بالمساحة على التقدير ستمائة ألف وأكثر ، سوى ما كان في الأطراف والحوالي والسطوح والمواضع المتفرقة ، أكثر من ألف ألف .

وقال جعفر بن محمد بن الحسين النيسابوري : حدثني فتح بن الحجاج قال : سمعت في دار الأمير محمد بن عبد الله بن طاهر : أن الأمير بعث عشرين رجلاً فحَزَروا كم صَلّى على أحمد بن حنبل ؟ فحزروا ، فبلغوا ألف ألف وثمانين ألفاً ، سوى من كان في السفن في الماء .

ورواها خُشْنَام[1] بن سعد ، فقال : بلغوا ألف ألف وثلاثمائة ألف .

وقال ابن أبي حاتم : سمعت أبا زُرعة يقول : بلغني أن المتوكل أمر أن يُمْسَح

---

(١) في الأصل « خشنام بن سعيد » وصححناه من طبقات الحنابلة . وفي ابن الجوزي ٤١٦ « محمد بن خشنام بن سعد » والراجح أنه خطأ .

الموضعُ الذي وقف عليه الناس ، حيث صُلِّي على أحمد ، فبلغ مقام ألفي ألف وخمس مائة .

وقال البيهقي : بلغني عن البغوي ، أن محمد بن عبد الله بن طاهر أمر أن تُحْزَر الخلق الذي في جنازة أحمد ، فاتفقوا على سبعمائة ألف .

وقال أبو همام الوليد بن شجاع : حضرت جنازة شريك ، وجنازة أبي بكر بن عياش ، ورأيت حضور الناس ، فما رأيتُ جمعاً قط شبيهَ هذا ، يعني في جنازة أحمد .

وقال أبو عبد الرحمن السلمي : حضرت جنازة أبي الفتح القواس مع الدارقطني ، فلما نظر إلى الجمع قال : سمعت أبا سهل بن زياد ، سمعت عبد الله بن أحمد بن حنبل سمعت أبي يقول : قولوا لأهل البدع : بيننا و بينكم الجنائز[1] .

وقال ابن أبي حاتم : حدثني أبو بكر محمد بن العباس المكي ، سمعت الوَرْكاني جار أحمد بن حنبل يقول : يوم مات أحمد بن حنبل وقع المأتم والنوح في أربعة أصناف : المسلمين ، واليهود ، والنصارى ، والمجوس . وأسلم يوم مات عشرون ألفاً من اليهود والنصارى والمجوس .

وفي لفظ عن ابن أبي حاتم : عشرة آلاف .

وهي حكاية منكرة ، لا أعلم رواها أحد إلا هذا الوركاني ، ولا عنه إلا محمد بن العباس ، تفرد بها ابن أبي حاتم .

---

(١) قال الحافظ ابن كثير في التاريخ ١٠ : ٣٤٢ : «وقد صدق الله قول أحمد في هذا ، فإنه كان إمام السنة في زمانه ، وعيون مخالفيه أحمد بن أبي دؤاد ، وهو قاضي قضاة الدنيا ، لم يحتفل أحد بموته ، ولم يلتفت إليه ، ولما مات ما شيعه إلا قليل من أعوان السلطان ، وكذلك الحرث بن أسد المحاسبي ، مع زهده وورعه وتنقيره ومحاسبته نفسه في خطراته وحركاته ، لم يصل عليه إلا ثلاثة أو أربعة من الناس ، وكذلك بشر بن غياث المريسي ، لم يصل عليه إلا طائفة يسيرة جداً ، فلله الأمر من قبل ومن بعد» .

والعقل يحيل أن يقع مثل هذا الحادث في بغداد ، ولا ينقله جماعة تنعقد هِمَمُهم ودَوَاعيهم على نقل ما هو دون ذلك بكثير .

وكيف يقع مثل هذا الأمر الكبير ولا يذكره المرّوذي ، ولا صالح بن أحمد ، ولا عبد الله بن أحمد ، ولا حنبل ، الذين حكَوْا من أخبار أبي عبد الله جزئياتٍ كثيرةً لا حاجة إلى ذكرها ، فوالله لو أسلم يوم موته عشرة أنفس لكان عظيمًا ، ولكان ينبغي أن يرويه نحوٌ من عشرة أنفس .

وقد تركتُ كثيراً من الحكايات : إما لضعفها ، وإما لعدم الحاجة إليها ، وإما لطولها .

ثم انكشف لي كذب الحكاية بأن أبا زُرْعة قال : كان الوركاني ، يعني محمد بن جعفر ، جارَ أحمد بن حنبل ، وكان يرضاه ، وقال ابن سعد وعبد الله بن أحمد وموسى بن هرون : مات الوَرْكاني في رمضان سنة ثمان وعشرين ومائتين[1] . فظهر لك بهذا أنه مات قبل أحمد بدهرٍ ! فكيف يحكي يوم جنازة أحمد رحمه الله ؟ !

قال صالح بن أحمد : جاء كتاب المتوكل بعد أيام من موت أبي إلى ابن طاهر يأمره بتعزيتنا ، ويأمر بحمل الكتب ، فحملتها ، وقلتُ : إنها لنا سماع ، فتكونُ في أيدينا وتنسخ عندنا ، فقال : أقول لأمير المؤمنين ، فلم نزل ندافع الأمير ، ولم تخرج عن أيدينا ، والحمد لله .

وقد جمع مناقبَ أبي عبد الله غير واحد ، منهم أبو بكر البيهقي في مجلد ، ومنهم أبو إسمعيل الأنصاري في مجلدين ، ومنهم أبو الفرج بن الجوزي في مجلد . والله تعالى يرضى عنه ويرحمه .

---

(١) وكذلك أرخ وفاته الخطيب في تاريخ بغداد (٢:١١٦ — ١١٨) والسمعاني في الأنساب (ورقة ٥١٨ ب) .

مصادر أخر لترجمة الإمام أحمد

من الكتب المطبوعة

التاريخ الكبير للبخاري ج ١ قسم ٢ ص ٦
التاريخ الصغير للبخاري ص ٢٤٤
الفهرست لابن النديم ٣٢٠
حلية الأولياء لأبي نعيم ٩ : ١٦١ — ٢٣٣
تاريخ بغداد للخطيب ٤ : ٤١٢ — ٤٢٣*
مختصر طبقات الحنابلة لابن أبي يعلى ٣ — ١١
مختصر تاريخ ابن عساكر ٢ : ٢٨ — ٤٨
مناقب أحمد لابن الجوزي ، مجلد خاص في ٥٤٤ صفحة
صفة الصفوة لابن الجوزي ٢ : ١٩٠ — ٢٠٣
تاريخ ابن الأثير ٧ : ٢٨
وفيات الأعيان لابن خلكان ١ : ٢٠ — ٢١
تذكرة الحفاظ الذهبي ٢ : ١٧ — ١٨
طبقات الشافعية لابن السبكي ١ : ١٩٩ — ٢٢١
تاريخ الحافظ ابن كثير ١٠ : ٣٢٥ — ٣٤٣
طرح التثريب للعراقي ١ : ٣١ — ٣٢
تهذيب التهذيب للحافظ ابن حجر ١ : ٧٢ — ٧٦
النجوم الزاهرة لابن تغري بردي ٢ : ٣٠٤ — ٣٠٦
مفتاح السعادة لطاشكبري زادة ٢ : ٣٩ — ٤٨**
شذرات الذهب لابن العماد ٢ : ٩٦ — ٩٨

---

* ذكر الخطيب أنه أفرد مناقب الإمام في كتاب خاص .
** كلامه عن المحنة فقط .

مصادر ترجمة عبد الله بن أحمد

تاريخ بغداد للخطيب ٩ : ٣٧٥ — ٣٧٦
مختصر طبقات الحنابلة لابن أبي يعلى ١٣١ — ١٣٤
المنتظم لابن الجوزي ٣ : ٣٩ — ٤٠
تاريخ ابن الأثير ٧ : ١٨٨
تذكرة الحفاظ للذهبي ٢ : ٢١٢ — ٢١٤
تاريخ الحافظ ابن كثير ١١ : ٩٦ — ٩٧
طرح التثريب للعراقي ١ : ٦٣ — ٦٤
النجوم الزاهرة ٣ : ١٣١
شذرات الذهب لابن العماد ٢ : ٢٠٣ — ٢٠٤

مصادر ترجمة القطيعي

تاريخ بغداد للخطيب ٤ : ٧٣ — ٧٤
مختصر طبقات الحنابلة لابن أبي يعلى ٢٩٢ — ٢٩٣
المنتظم لابن الجوزي ٧ : ٩٢ — ٩٣
ميزان الاعتدال للحافظ الذهبي ١ : ٤١
تاريخ الحافظ ابن كثير ١١ : ٢٩٣
طرح التثريب للعراقي ١ : ٢٦ — ٢٧
لسان الميزان للحافظ ابن حجر ١ : ١٤٥ — ١٤٦
النجوم الزاهرة ٤ : ١٣٢
شذرات الذهب لابن العماد ٣ : ٦٥

تاريخ الإســـلام

للحافظ الذهبي

هو من أكبر كتب التاريخ ، وأوثقها وأتقنها ، ألفه رجل حافظ مدقق محقق ثقة . أثبت فيه تراجم أعلام الإسلام من السنة الأولى من الهجرة إلى آخر سنة ٧٠٠. رتبه على سبعين طبقة ، كل طبقة عشر سنين . يذكر التراجم في كل طبقة على حروف المعجم ، ويسهب فيها إسهاباً محبوباً ، ترى مثاله في ترجمة الإمام أحمد التي تراها . ولا تقتصر تراجمه على صنف معين من الأعلام ، ففيه أولاً سيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهي تكاد تكون مجلداً وحدها ، ثم الصحابة ، ثم التابعون ، وفيه تراجم المحدثين ، والفقهاء ، والأدباء ، والشعراء ، والمؤرخين ، وغيرهم ، مما لانستطيع استيعابه في هذه الكلمة .

وهذا الكتاب إذا طبع لا أظنه يخرج في أقل من أربعين مجلداً كباراً ، بل يزيد . ونسخه الكاملة نادرة ، أو هي غير موجودة فيما نعلم . وأكمل نسخة فيما علمت هي نسخة دار الكتب المصرية ، وهي ملفقة من عدة نسخ ، وينقصها بعض الطبقات . وقد كنت تتبعت الموجود منها في دار الكتب المصرية وفي غيرها من دور الكتب ، مستعيناً بفهارس دور الكتب بالإستانة وأوربة ، وبكتاب « بروكلمان » فوجدت أن من المستطاع جمع الكتاب كله إلا قليلاً ، وأن هذا القليل من أواسطه ، فقد نجد من مقتني الكتب في العالم الإسلامي وغيره من يرشد إلى ما نقص منه ، إذا ما شرع في نشره .

وقد ذيّل عليه العلامة ابن قاضي شهبة المتوفى سنة ٨٥١ ، فابتدأ من حيث انتهى الحافظ الذهبي ، ووجد من هذا الذيل مجلدان بالمكتبة الأهلية بباريس ، وصل فيهما إلى الكلام على أثناء سنة ٨٠٦ ، وهما مصوران بدار الكتب المصرية ، وفي الجزء الأول نقص يسير .

فهذه ثمانون طبقة من طبقات أعلام الإسلام ، وهي الطبقات التي كان فيها مجد الإسلام وعزه ، وفيها أئمته وعظماؤه .

وأما الحافظ الذهبي فإنه غني عن التعريف ، واسمه « شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد عثمان بن قايماز ، التركماني الفارقي الأصل ، المعروف بالذهبي » . ولد بدمشق سنة ٦٧٣ . قال تلميذه الحافظ الشريف أبو المحاسن محمد بن علي الحسيني في « ذيل طبقات الحفاظ » ص ٣٥ — ٣٦ : « ومصنفاته ومختصراته وتخريجاته تقارب المئة ، وقد سار بجملة منها الركبان في أقطار البلدان ، وكان أحد الأذكياء المعدودين ، والحفاظ المبرزين » . ومات الذهبي بدمشق ليلة الإثنين ٣ ذي القعدة سنة ٧٤٨ رحمه الله تعالى .

* * *

والجزء من « تاريخ الإسلام » الذي نقلت منه هذه الترجمة ، ترجمة الإمام أحمد ، جزء قديم ، فيه الطبقة الخامسة والعشرون ، أي تراجم الذين توفوا من سنة ٢٤١ إلى سنة ٢٥٠ ، وعدد أوراقه ١٠٥ ورقات ، أي ٢١٠ صفحات ، وأسطر الصفحة ٢٣ سطراً ، عرض السطر نحو ١٢,٥ سنتي . وترجمة الإمام فيه في ٤٩,٥ صفحة .

وليس فيه تاريخ كتابته ، والظاهر الراجح من النظرة الأولى أنه من خطوط القرن الثامن . وهو جيد الضبط والتصحيح ، واضح القراءة ، يدل على أن كاتبه ناسخ متقن ، وعالم متمكن ، نقله من خط المؤلف ، ونص ما كتب في آخره :

« آخر الطبقة الخامسة والعشرين من تاريخ الإسلام. وعلقه من خط مؤلفه الحافظ شمس الدين بن الذهبي رحمه الله ، فقيرُ رحمة الله تعالى محمد بن إبرهيم بن محمد البسلي عفى الله عنه ، والحمد لله وحده ، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم » .

وكلمة « البسلي » أثبتت هكذا دون إعجام ، وأعجمه واضعو فهرس دار الكتب المصرية (ج ٥ ص ٧١ طبعة سنة ١٣٤٨) دون تثبت ، هكذا « البسيلي » !

فذهبت أبحث لأتثبت ، فوجدت في الضوء اللامع ترجمتين لرجلين : أحدهما « محمد بن إبرهيم بن علي بن محمد النشيلي نزيل مكة » ذكر أنه ولد سنة ٨٣٥ ببلدة « نشيل » من الغربية ، ولم يذكر تاريخ وفاته (ج ٦ ص ٢٧١ — ٢٧٢) ، والآخر « محمد بن إبرهيم المقدسي الحنبلي ويعرف بالسيلي ، بكسر المهملة ثم تحتانية بعدها لام » وذكر أنه كان « خازن كتب الضيائية » وأنه مات قريب سنة ٨٦٠ (ج ٦ ص ٢٨٣) فظننت أنه أحدهما على تردد .

ثم وجدت اليقين ، وجدت في الضوء اللامع أيضاً (٦ : ٢٧٧ — ٢٧٩) ترجمة « محمد بن إبرهيم بن محمد ، الدمشقي الأصل الشاعر الشهير الظاهري ، ويعرف بالبدر البشتكي » وأنه ولد بجوار جامع بشتك « الناصري » ، ونشأ بخانقاه « بشتك » ، وكان أحد صوفيتها ، فعرف بالنسبة إليها ، وذكر أنه كان ذا جلادة على النسخ مع الإتقان والسرعة الزائدة ، بحيث كان ينسخ في اليوم خمس كراريس فأكثر ، وأنه كتب بخطه من المطولات والمختصرات لنفسه ولغيره ما لا يدخل تحت الحصر كثرة ، « خصوصاً النهر لأبي حيان ، وإعراب السمين ، والكرماني ، وتاريخ الإسلام للذهبي » إلى آخره ، فأيقنت أنه هو ، بعد النص على أنه كان ينسخ تاريخ الإسلام .

ومن العجب حقاً أنه كان ينسخ في اليوم « خمس كراريس فأكثر » ، ومن المعروف أن الكراس عشرون صفحة ، أي أنه ينسخ في اليوم أكثر من مائة صفحة . وها أنت ذا ترى أن ترجمة الإمام التي بين يديك كانت في نسخته في ٤٩،٥ صفحة ، أي أنه ينسخ في اليوم الواحد أكثر من مثليها ، مع الإتقان والضبط والدقة ، ووضع علامات حمر في أوائل الكلام ، فهذا عجب !

والبشتكي هذا ولد في أحد الربيعين من سنة ٧٤٨ ، أي في السنة التي مات فيها الحافظ الذهبي ، وتوفي يوم الإثنين ٢٣ جمادى الأولى سنة ٨٣٠ . وله ترجمة أخرى مختصرة في شذرات الذهب ٧ : ١٩٥ . رحمه الله تعالى وإيانا ، وعفا عنا وعنه .

أصح الأسانيـــد

لأئمة الحديث وحفاظه كلمات في أصح الأسانيد ، فالإمام أحمد وإسحق بن راهويه — مثلاً — يذهبان إلى أن أصح الأسانيد باطلاق : الزهريُّ عن سالم عن أبيه . والبخاريّ يذهب إلى أن أصحها باطلاق : مالك عن نافع عن ابن عمر ، وهي الترجمة التي اشتهرت عند المحدّثين بأنها « سلسلة الذهب » .

قال النووي في التقريب مع شرح السيوطي في التدريب (ص ١٩) : « والمختار أنه لا يجزم في إسناد أنه أصح الأسانيد مطلقاً . لأن تفاوت مراتب الصحة مرتب على تمكن الإسناد من شروط الصحة ، ويعز وجود أعلى درجات القبول في كل واحد واحد من رجال الإسناد الكائنين في ترجمة واحدة . ولهذا اضطرب من خاض في ذلك ، إذ لم يكن عندهم استقراء تام ، وإنما رجح كل منهم بحسب ما قوي عنده ، خصوصاً إسناد بلده ، لكثرة اعتنائه به » .

فانتهى تحقيقهم إلى أنه ينبغي تقييد هذا الوصف بالبلد أو الصحابي . ونصوا على أسانيد كثيرة ، بعضهم أطلق ، وبعضهم قيد .

قال الحاكم أبو عبد الله في كتاب (معرفة علوم الحديث) :

« وقد اختلف أئمة الحديث في أصح الأسانيد :

فحدثنا أبو عبدالله محمد بن يعقوب قال : حدثنا محمد بن سليمان قال : سمعت محمد بن إسمعيل البخاري يقول : أصح الأسانيد كلها : مالك عن نافع عن ابن عمر ، وأصح أسانيد أبي هريرة : أبو الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة .

وسمعت أبا بكر بن أبي دارم الحافظ بالكوفة يحكي عن بعض شيوخه عن أبي

بكر بن أبي شيبة قال : أصح الأسانيد كلها : الزهري عن علي بن الحسين عن أبيه عن عليّ .

وأخبرني خلف بن محمد البخاري حدثنا محمد بن حريث البخاري قال : سمعت عمرو بن علي يقول : أصح الأسانيد : محمد بن سيرين عن عَبيدة عن عليّ .

أخبرنا أبو عبد الله محمد بن أحمد بَطّة الأصبهاني عن بعض شيوخه قال : سمعت سليمان بن داود يقول: أصح الأسانيد كلها: يحيى بن أبي كثير عن أبي سلمة عن أبي هريرة .

وسمعت أبا الوليد الفقيه غير مرة يقول : سمعت محمد بن سليمان الميداني يقول : سمعت إسحق بن إبرهيم الحنظلي يقول: أصح الأسانيد كلها: الزهريّ عن سالم عن أبيه .

حدثني الحسين بن علي الصيرفي قال : حدثني محمد بن حماد الدوري بحلب قال : أخبرني أحمد بن القاسم بن نصر بن دوست قال : حدثنا حجاج بن الشاعر قال : اجتمع أحمد بن حنبل ويحيى بن معين وعلي بن المديني في جماعة معهم ، اجتمعوا فذكروا أجود الأسانيد الجياد ، فقال رجل منهم : أجود الأسانيد : شعبة عن قتادة عن سعيد بن المسيب عن عامر أخي أم سلمة عن أم سلمة . وقال علي بن المديني : أجود الأسانيد : ابن عون عن محمد عن عَبيدة عن عليّ . وقال أبو عبد الله أحمد بن حنبل : أجود الأسانيد : الزهري عن سالم عن أبيه ، وقال يحيى : الأعمش عن إبرهيم عن علقمة عن عبد الله . فقال له إنسان : الأعمش مثل الزهري ؟ فقال : برئت من الأعمش أن يكون مثل الزهري ، الزهري يرى العرض والإجازة ، وكان يعمل لبني أمية ، وذكر الأعمش فمدحه ، فقال : فقير صبور مجانب السلطان ، وذكر علمه بالقرآن وورعه .

قال الحاكم : فأقول وبالله التوفيق : إن هؤلاء الأئمة الحفاظ قد ذكر كل ما أدى إليه اجتهاده في أصح الأسانيد ، ولكل صحابي رواة من التابعين ، ولهم أتباع ، وأكثرهم ثقات ، فلا يمكن أن يقطع الحكم في أصح الأسانيد لصحابي واحد . فنقول وبالله التوفيق :

إن أصح أسانيد أهل البيت : جعفر بن محمد عن أبيه عن جده عن علي ، إذا كان الراوي عن جعفر ثقة .

وأصح أسانيد الصديق : إسمعيل بن أبي خالد عن قيس بن أبي حازم عن أبي بكر .

وأصح أسانيد عمر : الزهري عن سالم عن أبيه عن جده .

وأصح أسانيد المكثرين من الصحابة ، لأبي هريرة الزهري عن سعيد بن المسيب عن أبي هريرة ، ولعبد الله بن عمر : مالك عن نافع عن ابن عمر ، ولعائشة : عُبيد الله بن عمر بن حفص بن عاصم بن عمر بن الخطاب عن القاسم بن محمد بن أبي بكر عن عائشة .

سمعت أبا بكر أحمد بن سلمان الفقيه يقول : سمعت جعفر بن أبي عثمان الطيالسي يقول : سمعت يحيى بن معين يقول : عبيد الله بن عمر عن القاسم عن عائشة : ترجمة مشبّكة بالذهب .

ومن أصح الأسانيد أيضاً : محمد بن مسلم بن عبدالله بن شهاب بن زهرة القرشي عن عروة بن الزبير بن العوام بن خويلد القرشي عن عائشة .

وأصح أسانيد عبد الله بن مسعود : سفيان بن سعيد الثوري عن منصور بن المعتمر عن إبرهيم بن يزيد النخعي عن علقمة بن قيس النخعي عن عبد الله بن مسعود .

وأصح أسانيد أنس : مالك بن أنس عن الزهري عن أنس .

وأصح أسانيد المكيين : سفيان بن عيينة عن عمرو بن دينار عن جابر .

وأصح أسانيد اليمانيين : مَعْمَر عن همام بن مُنَبِّه عن أبي هريرة .

سمعت أبا أحمد الحافظ يقول : سمعت أبا حامد الشَّرْقي يقول : سألت محمد بن يحيى فقلت : أيُّ الإسنادين أصح : محمد بن عمرو عن أبي سلمة عن أبي هريرة ، أو معمر عن همام بن منبه عن أبي هريرة ؟ فقال : إسناد محمد بن عمرو أشهر ، وإسناد معمر أمتن .

قال الحاكم : فقلت لأبي أحمد الحافظ : محمد بن يحيى إمام غير مدافع إمامته ، ولكني أقول : معمر بن راشد أثبتُ من محمد بن عمرو ، وأبو سلمة أجلّ وأشرف وأثبت من همام بن منبه . فأعجبه هذا القولُ وقال فيه ما قال .

قلنا : وأثبت إسناد المصريين : الليث بن سعد عن يزيد بن أبي حبيب عن أبي الخير عن عقبة بن عامر الجهني .

وأثبت إسناد الشاميين : عبد الرحمن بن عمرو الأوزاعي عن حسان بن عطية عن الصحابة .

وأثبت أسانيد الخراسانيين : الحسين بن واقد عن عبد الله بن بُريدة عن أبيه . ولعل قائلاً يقول : إن هذا الإسناد لم يُخرَّج منه في الصحيحين إلا حديثان ؟ فيقال له : [ما] وجدنا للخراسانيين أصحّ من هذا الإسناد . فكلهم ثقات وخراسانيون ، وبُريدة بن حُصيب مدفون بمرو » .

انتهى كلام أبي عبد الله الحاكم في كتاب (معرفة علوم الحديث) ص ٥٣ — ٥٦ وهو أقدم نصٍّ بين يديّ في كتب أئمة الحديث وحفاظه ، فلذلك أثبتُّه بحروفه .

ثم جاء الحافظ أبو الفضل زين الدين عبد الرحيم بن الحسين العراقي المتوفى سنة ٨٠٦ فجمع أحاديث الأحكام المروية بأصح الأسانيد في ستة عشر ترجمة ، واقتصر في إخراجها من الموطأ ومسند الإمام أحمد ، واختصر أسانيدها ، تقريباً لابنه أبي زرعة ، وتيسيراً عليه لحفظها ، وسمى هذا الكتاب (تقريب الأسانيد وترتيب المسانيد) .

قال في مقدمته : « ولما رأيت صعوبة حفظ الأسانيد في هذه الأعصار لطولها ، وكان قصر أسانيد المتقدمين وسيلة لتسهيلها ، رأيت أن أجمع أحاديث عديدة في تراجم محصورة ، وتكون تلك التراجم فيما عُدّ من أصح الأسانيد مذكورة ، إما مطلقاً على قول من عمه ، أو مقيداً بصحابي تلك الترجمة »

ثم قال : « فما كان فيه من حديث نافع عن ابن عمر ، ومن حديث الأعرج عن أبي هريرة ، ومن حديث أنس ، ومن حديث عبد الرحمن بن القاسم عن أبيه عن عائشة — :

فأخبرني به محمد بن أبي القاسم بن إسمعيل الفارقي ومحمد بن محمد بن محمد القلانسي بقراءتي عليهما ، قالا : أخبرنا يوسف بن يعقوب المشهدي وسيدة بنت موسى المارانية ، قال يوسف أخبرنا الحسن بن محمد البكري ، قال : أخبرنا المؤيد بن محمد الطوسي (ح) وقالت سيدة : أنبأنا المؤيد ، قال : أخبرنا هبة الله بن سهل ، قال : أخبرنا سعيد بن محمد ، قال : أخبرنا زاهر بن أحمد قال : أخبرنا إبرهيم بن عبد الصمد قال : حدثنا أبو مصعب أحمد بن أبي بكر قال : حدثنا مالك بن أنس عن نافع عن ابن عمر .

ومالك عن أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة .

ومالك عن الزهريّ عن أنس .

ومالك عن عبد الرحمن بن القاسم عن أبيه عن عائشة .

وما كان من غير هذه التراجم الأربعة فأخبرني به محمد بن إسمعيل بن إبرهيم الخباز بقراءتي عليه بدمشق في الرحلة الأولى ، قال : أخبرنا المسلم بن مكيّ ، قال : أخبرنا حنبل بن عبد الله قال : أخبرنا هبة الله بن محمد الشيباني قال : أخبرنا الحسن بن علي التميمي قال : أخبرنا أحمد بن جعفر القطيعي قال : حدثنا عبد الله بن أحمد قال : حدثني أبي أحمد بن محمد بن حنبل .

فما كان من حديث عمر بن الخطاب فقال أحمد : حدثنا عبد الرزاق قال : حدثنا معمر عن الزهري عن سالم عن أبيه عن عمر .

وما كان من حديث سالم عن أبيه فقال أحمد : حدثنا سفيان بن عيينة عن الزهري عن سالم عن أبيه ......

وما كان من حديث علي بن أبي طالب فقال أحمد : حدثنا يزيد هو ابن هرون قال : أخبرنا هشام عن محمد عن عَبيدة عن علي .

وما كان من حديث عبد الله بن مسعود فقال أحمد : حدثنا أبو معاوية قال : حدثنا الأعمش عن إبرهيم عن علقمة عن عبد الله .

وما كان من حديث همام عن أبي هريرة فقال أحمد : حدثنا عبد الرزاق قال : حدثنا معمر عن همام عن أبي هريرة .

وما كان من حديث سعيد عن أبي هريرة فقال أحمد : حدثنا سفيان بن عيينة عن الزهري عن سعيد عن أبي هريرة .

وما كان من حديث أبي سلمة وحده عن أبي هريرة فقال أحمد : حدثنا حسن بن موسى قال : حدثنا شيبان بن عبد الرحمن قال : حدثنا يحيى بن أبي كثير عن أبي سلمة عن أبي هريرة .

وما كان من حديث جابر فقال أحمد : حدثنا سفيان عن عمرو عن جابر .

وما كان من حديث بُريدة فقال أحمد : حدثنا زيد بن الحُباب قال : حدثني حسين بن واقد عن عبد الله بن بُريدة عن أبيه .

وما كان من حديث عُقْبة بن عامر فقال أحمد : حدثنا حجاج بن محمد قال : حدثنا ليث بن سعد عن يزيد بن أبي حبيب عن أبي الخير عن عقبة بن عامر .

وما كان من حديث عروة عن عائشة فقال أحمد : حدثنا عبد الرزاق عن معمر عن الزهري عن عروة عن عائشة .

وما كان من حديث عُبيد الله عن القاسم عن عائشة فقال أحمد : حدثنا يحيى هو ابن سعيد عن عُبيد الله قال : سمعت القاسم يحدث عن عائشة » .

انتهى ما قاله الحافظ العراقي في أول التقريب . وقد شرحه هو وابنه أبو زرعة ، في شرح نفيس حافل ، اسمه (طرح التثريب) . وقد طبع الكتابان في مصر .

وقال السيوطي في تدريب الراوي ٣٢ — ٣٣ : « جمع الحافظ أبو الفضل العراقي الأحاديث التي وقعت في المسند لأحمد والموطأ ، بالتراجم الخمسة التي حكاها المصنف

وهي المطلقة ، وبالتراجم التي حكاها الحاكم ، وهي المقيدة ، ورتبها على أبواب الفقه ، وسماها تقريب الأسانيد . قال شيخ الإسلام — يعني الحافظ ابن حجر العسقلاني تلميذ الحافظ العراقي — : وقد أخلى كثيراً من الأبواب لكونه لم يجد فيها بتلك الشرطية ، وفاته أيضاً جملة من الأحاديث على شرطه ، لكونه تقيد بالكتابين ، للغرض الذي أراده ، من كون الأحاديث المذكورة تصير متصلة الأسانيد مع الاختصار البالغ . قال : ولو قُدِّر أن يتفرغ عارف لجمع الأحاديث الواردة بجميع التراجم المذكورة ، من غير تقيد بكتاب ، ويضم إليها التراجم المزيدة عليه ، لجاء كتاباً حافلاً حاوياً لأصح الحديث » .

وقد تتبعت بأقصى وسعي ما قال علماء هذا الشأن وحملته المدول في أصح الأسانيد ، إذ أن حكمهم أو حكم أحدهم في ترجمة من التراجم أنها أصح إسناد ، أو من أصح الأسانيد ، شهادة لها من عدل ثقة بأنها في الدرجة العليا من الصحة وإن تفاوتت درجاتها . وزدت عليها بعض التراجم : إما تفصيلاً لمجمل ، كما في أصح الأسانيد عن عمر : فإن أصح الأسانيد عن ابنه عبد الله تدخل في أصح الأسانيد عنه ، إذا روى عنه ابنه عبد الله بن عمر . وكما في بعض الأسانيد التي يرويها مالك عن الزهري ، فإني زدت عليها رواية سفيان بن عيينة ورواية معمر عن الزهري ، فإنهما ليسا بأقل من مالك في الضبط والإتقان عن الزهري ، ورتبت هذه التراجم على أسماء الصحابة على حروف المعجم .

ومن شاء زيادة توثق وتثبت ، وزيادة توسع وتفصيل ، فليرجع إلى المصادر الآتية :

معرفة علوم الحديث للحاكم أبي عبد الله ٥٣ — ٥٦

الكفاية في علم الرواية للخطيب البغدادي ٣٩٧ — ٣٩٩

علوم الحديث لابن الصلاح بشرح الحافظ العراقي ١٠ — ١١

شرح العراقي على ألفيته في مصطلح الحديث ١ : ١٦ — ٣٨

شرح السخاوي على ألفية العراقي ٨ — ١٠

تدريب الراوي شرح تقريب النواوي ١٩ — ٢٤

توجيه النظر إلى أصول الأثر لشيخنا الشيخ طاهر الجزائري رحمه الله ٢١٤ — ٢١٥

شرحنا على ألفية السيوطي في مصطلح الحديث ٤ — ٩

شرحنا على اختصار علوم الحديث للحافظ ابن كثير ٧ — ١١

وها هي ذي التراجم التي جمعناها ، وسنفرقها أيضاً في مواضعها عند البدء في مسند كل صحابي ممن ذكر فيها ، إن شاء الله :

١	أنس بن مالك	: مالك عن الزهري عن أنس
٢		سفيان بن عيينة عن الزهري عن أنس
٣		معمر عن الزهري عن أنس
٤		حماد بن زيد عن ثابت عن أنس
٥		حماد بن سلمة » » » »
٦		شعبة عن قتادة عن أنس
٧		هشام الدستوائي عن قتادة عن أنس
٨	بريدة	: الحسين بن واقد عن عبد الله بن بريدة عن أبيه
٩	أبو بكر الصديق	: إسمعيل بن أبي خالد عن قيس بن أبي حازم عن أبي بكر
١٠	جابر بن عبد الله	: سفيان بن عيينة عن عمرو بن دينار عن جابر
١١	أبو ذر الغفاري	: سعيد بن عبد العزيز عن ربيعة بن يزيد عن أبي إدريس الخولاني عن أبي ذر
١٢	سعد بن أبي وقاص	: علي بن الحسين بن علي عن سعيد بن المسيب عن سعد بن أبي وقاص
١٣	أم سلمة أم المؤمنين	: شعبة عن قتادة عن سعيد بن المسيب عن عامر أخي أم سلمة عن أم سلمة
١٤	عائشة أم المؤمنين	: هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة
١٥		أفلح بن حميد عن القاسم عن عائشة
١٦		سفيان الثوري عن إبرهيم عن الأسود عن عائشة
١٧		مالك عن عبد الرحمن بن القاسم عن أبيه عن عائشة

١٨ يحيى بن سعيد عن عُبيد الله بن عمر بن حفص عن القاسم بن محمد عن عائشة

١٩ مالك عن الزهري عن عروة بن الزبير عن عائشة

٢٠ سفيان بن عيينة عن الزهري عن عروة بن الزبير عن عائشة

٢١ معمر عن الزهري عن عروة بن الزبير عن عائشة

٢٢ عبد الله بن عباس : مالك عن الزهري عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة عن ابن عباس

٢٣ سفيان بن عيينة عن الزهري عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة عن ابن عباس

٢٤ معمر عن الزهري عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة عن ابن عباس

٢٥ عبد الله بن عمر : مالك عن نافع عن ابن عمر

٢٦ مالك عن الزهري عن سالم عن أبيه

٢٧ سفيان بن عيينة عن الزهري عن سالم عن أبيه

٢٨ معمر عن الزهري عن سالم عن أبيه

٢٩ حماد بن زيد عن أيوب عن نافع عن ابن عمر

٣٠ يحيى بن سعيد القطان عن عُبيد الله بن عمر عن نافع عن ابن عمر

٣١ عبد الله بن عمرو بن العاصي: عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده

٣٢ عبد الله بن مسعود : الأعمش عن إبرهيم بن يزيد عن علقمة بن قيس عن ابن مسعود

٣٣		سفيان الثوري عن منصور بن المعتمر عن إبرهيم بن يزيد عن علقمة عن ابن مسعود
٣٤	عقبة بن عامر	: الليث بن سعد عن يزيد بن أبي حبيب عن أبي الخير عن عقبة بن عامر
٣٥	علي بن أبي طالب	: أيوب السختياني عن محمد بن سيرين عن عَبيدة عن علي
٣٦		عبد الله بن عون عن محمد بن سيرين عن عَبيدة عن علي
٣٧		هشام الدستوائي عن محمد بن سيرين عن عَبيدة عن علي
٣٨		مالك عن الزهري عن علي بن الحسين عن أبيه عن علي
٣٩		سفيان بن عيينة عن الزهري عن علي بن الحسين عن أبيه عن علي
٤٠		معمر عن الزهري عن علي بن الحسين عن أبيه عن علي
٤١		جعفر بن محمد بن علي عن أبيه عن جده عن علي
٤٢		الأعرج عن عُبيد الله بن أبي رافع عن علي
٤٣		يحيى القطان عن سفيان الثوري عن سليمان الأعمش عن إبرهيم التيمي عن الحرث بن سُويد عن علي
٤٤	عمر بن الخطاب	: مالك عن نافع عن ابن عمر عن عمر
٤٥		مالك عن الزهري عن السائب بن يزيد عن عمر

٤٦		سفيان بن عيينة عن الزهري عن السائب بن يزيد عن عمر
٤٧		معمر عن الزهري عن السائب بن يزيد عن عمر
٤٨		مالك عن الزهري عن عُبيد الله بن عبد الله بن عتبة عن ابن عباس عن عمر
٤٩		سفيان بن عيينة عن الزهري عن عُبيد الله بن عبد الله بن عتبة عن ابن عباس عن عمر
٥٠		معمر عن الزهري عن عُبيد الله بن عبد الله بن عتبة عن ابن عباس عن عمر
٥١		مالك عن الزهري عن سالم عن أبيه عن جده
٥٢		سفيان بن عيينة عن الزهري عن سالم عن أبيه عن جده
٥٣		معمر عن الزهري عن سالم عن أبيه عن جده
٥٤		حماد بن زيد عن أيوب عن نافع عن ابن عمر عن عمر
٥٥		يحيى بن سعيد القطان عن عُبيد الله بن عمر عن نافع عن ابن عمر عن عمر
٥٦	أبو موسى الأشعري	: شعبة عن عمرو بن مرة عن أبيه عن أبي موسى الأشعري
٥٧	أبو هريرة	: يحيى بن أبي كثير عن أبي سلمة عن أبي هريرة
٥٨		مالك عن الزهري عن سعيد بن المسيب عن أبي هريرة

٥٩ سفيان بن عيينة عن الزهري عن سعيد بن المسيب عن أبي هريرة

٦٠ معمر عن الزهري عن سعيد بن المسيب عن أبي هريرة

٦١ مالك عن أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة

٦٢ حماد بن زيد عن أيوب عن محمد بن سيرين عن أبي هريرة

٦٣ إسمعيل بن أبي حكيم عن عَبيدة بن سفيان الحضرمي عن أبي هريرة

٦٤ معمر عن همام بن منبه عن أبي هريرة

ترجمتان عامتان :

٦٥ شعبة عن قتادة عن سعيد بن المسيب عن شيوخه من الصحابة

٦٦ الأوزاعي عن حسان بن عطية عن شيوخه من الصحابة

المحتــوى

الكتــاب الأول

الكتــاب الثانــى

الكتــاب الثــالث